المجلة الأردنية للتاريخ والآثار
المجلّد ٩، العدد ٢، ٢٠١٥م

الرسالتان الأولى والثانية للرحالة أبي دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي: عرض وتحليل *

عليان عبد الفتاح الجالودي**

ملخص

تهدف الدراسة إلى التعريف بشخصية الرحالة أبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبوعي (القرن ٤هـ/١٠م) في رسالتيه اللتين دون فيهما خلاصة رحلاته إلى بلاد الترك والصين والهند وأرمينية وأذربيجان وسائر بلاد فارس. وتناولت الدراسة تحليل منهجه، وقيمة المعلومات التي تضمنتها الرسالتان من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وأبرزت الدراسة أن أهم ما يميز مساهمة أبي دلف في رسالتيه عما سبقه وعاصره من الجغرافيين والرحالة، هو الاهتمام الذي يبديه بعادات الشعوب التي زار بلادها، ومعتقدات أهلها الدينية، واهتمامه بالآثار العمرانية، خصوصاً تلك التي تعود للعصر الساساني، فضلاً عن اهتمامه بالمعادن والأعشاب الطبية، والحمّات المعدنية وخواصها العلاجية.

الكلمات الدالة: أبو دلف الخزرجي، الرسالة الأولى، الرسالة الثانية، الترك، الصين، الهند، بلاد فارس.

المقدمة

عاش أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبوعي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (ت حوالي ٣٩٠هـ/٩٩٩م)، وقضى جلّ حياته في الجزء الشرقي من دار الخلافة، واشتهر بوصفه شاعراً وجوالة ينتمي إلى طوائف المكدين والساسانية، وكان يتردد على بلاط أمراء العصر من سامانيين وبويهيين، وربطته علاقة وثيقة بالوزير البويهي الصاحب بن عباد الطالقاني.

وإلى جانب أشعاره وأشهرها القصيدة الساسانية التي وصف فيها المكدين وجماعة بني ساسان، ترك لنا أبو دلف رسالتين تضمنت الأولى منهما رحلته إلى بلاد الترك والصين والهند، في حين تضمنت رسالته الثانية تفاصيل مشاهداته في بلاد أذربيجان وأرمينيا وسائر بلاد فارس، وحظيت هاتان الرسالتان باهتمام مبكر من المستشرقين والباحثين الأجانب، في حين جاء اهتمام الباحثين العرب والمسلمين بهما محدوداً، واقتصر في جلّه على نشر نص الرسالة الأولى.

والسؤال المهم الذي استندت عليه الدراسة، هو ما القيمة العلمية لرسالتي أبي دلف؟ وقيمة ما أضافه من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية عن البلدان التي زارها، والشعوب التي وصف لنا

---

* أعدت هذه الدراسة خلال منحة التفرغ العلمي الممنوحة للباحث من قبل جامعة آل البيت للعام الدراسي ٢٠١٤/٢٠١٥م.

** أستاذ، قسم التاريخ، جامعة آل البيت. تاريخ استلام البحث ٢٠١٥/٥/١٩م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١٥/١٠/٨م.

© ٢٠١٥ عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

معتقداتها الدينية وعاداتها الاجتماعية، خصوصاً الشعوب التركية، وما وجه الفرادة العلمية في رحلتيه من حيث اهتمامه بالأعشاب والعقاقير الطبية، والمعادن الثمينة، والأحجار الكريمة، والمياه المعدنية وخواصها العلاجية.

وأولى الباحث جلّ اهتمامه إلى دراسة الرسالتين من حيث منهج أبي دلف وخصائص أسلوبه. وقيمة المعلومات التاريخية والجغرافية التي اشتملت عليها الرسالتان، وتحليل مضامين الرسالتين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأهمية ما جاء في رسالته الأولى من توثيق لجوانب حياة الشعوب التركية، والصينية، والهندية، وأنظمتهم السياسية ومعتقداتهم الدينية، ومظاهر حياتهم الاجتماعية، ناهيك عن أهمية المعلومات التي تضمنتها الرسالة الثانية عن بلاد أذربيجان، وأرمينية، وبلاد فارس، وتوثيقه للمشاهد العمرانية خصوصاً تلك التي تعود للعصر الساساني، والقاسم المشترك في اهتمامات أبي دلف في كلتا الرسالتين، وهو توثيقه للثروات المعدنية، والمعادن الثمينة، والأعشاب، واستخداماتها الطبية وهو ما أعطى الرسالتين قيمتها وتفرّدها بين المصنفات الجغرافية وكتب الرحلات لسابقي ومعاصري أبي دلف من الجغرافيين والرحالة.

أبو دلف الخزرجي: حياته ومؤلفاته:

عاش أبو دلف في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو القرن الذي شهد تراجع سلطات الخلافة العباسية في العراق والمشرق، وبروز الإمارات المستقلة على حسابها في المشرق، من سامانيين (٢٦١-٣٨٩هـ/٧٨٤-٩٩٨م)، وبويهيين (٣٢٢-٤٤٧هـ/٩٣٤-١٠٥٥م) [١]، والمعطيات التي تمدنا بها المصادر الأولية حول حياته قليلة بل نادرة لا تكفي لتكوين صورة متكاملة حول شخصيته، كما تحاشى هو الحديث عن تفاصيل حياته في رسالتيه الأولى والثانية.

وأبو دلف، هو مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبوعي، ينتسب إلى قبيلة الخزرج، وتعود أصوله إلى بلدة ينبع بين مكة والمدينة على ساحل البحر الأحمر. غير أن نسبه العربي غير مؤكد، ففي رسالة وجهها الفضل بن العميد (٣٦٠هـ/ ٩٧١م) لأبي دلف، يتضح بين ثناياها ادعاء أبي دلف الانتساب للطبيب والفيلسوف المشهور محمد بن زكريا الرازي القزويني (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، وبأنه

١. لمزيد من التفاصيل حول الأوضاع السياسية للخلافة العباسية، والإمارات المستقلة، ينظر: متز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ٢م، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٦٧م. م١، ص٤٥ وما بعدها، وسيشار له فيما بعد، متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. كاهين، كلود، **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، ترجمة بدر الدين القاسم، ط١، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٦٩ وما بعدها.

Siddiqi, A.H., **Caliphate and Kingship in Medieval Persia, Porcupine Press, Philadelphia**, 1977, pp. 1-32.

سبطه، وشكك ابن العميد بهذا النسب بقوله "وقد شاهدت محمداً، وما خلف بنتاً"[٢].

وتصمت المصادر عن الإشارة لمولد أبي دلف، وتاريخ وفاته، غير أنه عمّر طويلاً، حتى تجاوز التسعين من العمر على ما يقول الثعالبي بأنه "خنق التسعين في الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار والصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب في خدمة العلوم والآداب، وفي تدويخه البلاد"[٣].

قضى أبو دلف الشطر الأكبر من حياته في الجزء الشرقي من دار الخلافة، فقد عاش في بلاط السامانيين في بخارى[٤] بين عامي ٣٠١-٣٣١هـ/٩١٤-٩٤٢م، ورافق في سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م سفارة إلى الصين، كانت قد وفدت إلى بلاط الملك السعيد نصر الثاني بن أحمد الساماني (٣٠١-٣٣١هـ/٩١٤-٩٤٢م أرسلها ملك الصين قالين (فالين) بن الشخير بهدف عقد المصاهرة بين البيتين، فرافق أبو دلف تلك السفارة إلى الصين لإتمام عقد المصاهرة بزواج ابنة الملك الصيني، من الأمير نوح بن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ/٩٤٣-٩٥٤م)، زار خلالها أبو دلف تركستان الغربية، وتركستان الشرقية، والتبت، ودخل الصين، ثم الهند[٥]. ويصف مسعر بن المهلهل الأمير نصر الثاني بأنه "الملك عظيم الشأن، كثير السلطان، يستصغر في جنبه أهل الطول، وتخف عنده موازين ذي القدرة والحول"[٦].

ويظهر أن أبا دلف كان على صلة بالوزير أبي عبد الله الجيهاني (ت٣٣٠هـ/٩٤١-٩٤٢م)، الذي تولى الوزارة للأمير نصر الثاني طول حقبة إمارته، وهو كما يصفه المؤرخون "كان رجلاً عالماً شديد الذكاء، له مؤلفات كثيرة في مقدمتها كتاب "المسالك والممالك" الذي استند عليه كرديزي في

---

٢. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، **أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد)**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٤٣٩-٤٤٠، وسيشار له فيما بعد، أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين. وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي اشتهر بالطب والفلسفة، انظر حوله، ابن خلكان، أبو العباس أحمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٨ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٥، ص١٥٧- ١٥٨. وسيشار له فيما بعد، خلكان، وفيات الأعيان.

٣. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٥م، م٣، ص٤١٣، وسيشار له فيما بعد، الثعالبي، ثمار القلوب.

٤. وهي عاصمة السامانيين، وتقع في أوزبكستان الحالية، وهي إحدى مدن إقليم الصغد في بلاد ما وراء نهر جيحون، لسترانج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٠٤، وسيشار له فيما بعد، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية.

٥. كراتشوفسكي، أغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، قسم١، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٠٤، وسيشار له فيما بعد، كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص٢٠٤.

٦. **الرسالة الأولى لأبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي، دراسة وتحقيق**، مريزن عسيري، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٩٩٥م ص٣٩. وسيشار له فيما بعد، أبي دلف، الرسالة الأولى.

معلوماته عن الترك، ويقع في (سبعة) مجلدات"[٧].

وأثر عودته من رحلته إلى الصين والهند دخل سجستان، حلَّ ضيفاً على واليها آنذاك أبي جعفر محمد بن أحمد بن الليث، وهو من سلالة عمرو بن الليث الصفاري، ووالدته بانويه شقيقة يعقوب بن الليث الصفاري (٢٤٧- ٢٦٥هـ/ ٨٦١- ٨٧٨م)، وكان والياً على (سيستان) سجستان بصفته نائباً عن السامانيين الذين بسطوا سيطرتهم عليها ابتداء من عام ٢٩٨هـ/٩١٠م[٨]، ويصف مسعر هذا الوالي بالقول "بأنه رجل فيلسوف، حكيم، سمح كريم، له في كل بلد طراز يعمل فيه ثياب وآلة، ويخلع كل يوم خلعة على واحد من زواره، تقوَّم عليه من طرازها بخمسة آلاف درهم"[٩].

وكان أبو دلف في مدينة الري[١٠]، سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤، وحلّ ضيفاً على رجل مجوسي من أهلها[١١]، وكان في بلدة قرمسين سنة ٣٤٠هـ/٩٥١-٩٥٢م[١٢]، وفي شهرزور[١٣] سنة ٣٤١هـ/٩٥٢-٩٥٣م، وأشار في رسالته الثانية إلى نهب أهالي بلدة نيم ازراي[١٤]، أهالي بلدة الشيز[١٥].

واستناداً إلى معلومات الثعالبي فإن أبا دلف كان يتردد على بلاط الوزير البويهي الصاحب بن عباد وزير الأمير ركن الدولة الحسن بن بويه صاحب أصفهان والري وهمذان وجميع عراق العجم[١٦]، وكان الصاحب يكرم وفادة أبي دلف على ما يقول الثعالبي "يكثر المقام عنده، ويكثر

٧. كرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك (ت٤٤٣هـ/١٠٥١م)، **زين الأخبار**، ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢١٢-٢١٣، ٢٤٦، ٣٩٨، ٤٠٤، وسيشار له فيما بعد، كرديزي، زين الأخبار. بارتولد، فلاديمر، **تركستان منذ الفتح الإسلامي وحتى الغزو المغولي**، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، ط١، الكويت، ١٩٨٤م، ص٧٤-٧٥، ٣٧١، ٣٧٤-٣٧٥، وسيشار له فيما بعد، وسيشار له فيما بعد، بارتولد، تركستان.

٨. بارتولد، **تركستان**، ص٣٨٠.

٩. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٧٦-٧٧.

١٠. تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال (كوهستان) أو العراق العجمي، وهي البلاد الممتدة من سهول العراق والجزيرة الفراتية في الغرب وحتى مفازة بلاد فارس الملحية في الشرق، لسترانج، **بلدان الخلافة**، ص٢٢٠، ٢٤٩.

١١. أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٧.

١٢. أبو دلف، المصدر نفسه، ص٦٥.

١٣. كورة واسعة بين اربل وهمذان، وتقع شمال غرب الدينور، ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ٧م، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، م٣، ص٤٢٥-٤٢٦، وسيشار له فيما بعد، ياقوت، معجم البلدان.

١٤. وهي بالفارسية (نيم راه) ومعناها منزل منتصف الطريق، لأنها تقع في منتصف الطريق بين المدائن (طيسفون)، والشيز، وهي قصبة شهرزور، لسترانج، **بلدان الخلافة**، ص٢٢٦.

١٥. وتسمى اليوم "تخت سليمان"، وتقع في الحد الغربي لإقليم الجبال، وهي ناحية بأذربيجان، وقصبتها أرمية، ياقوت، **معجم البلدان**، ج١٤، ص٢٤٩-٢٥٠، لسترانج، **بلدان الخلافة**، ص٢٥٦-٢٥٨.

١٦. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ١٨ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. وسيشار له فيما

سواد غاشيته، وحاشيته، ويرتفق بخدمته ويرتزق من جملته، ويتزود كتبه في أسفاره..." [١٧].

وحفظت لنا بعضاً من أشعار أبي دلف في مدح الصاحب بن عباد من بينها:

(الرجز)

شيمته السخاء والإيجاب في جوده وفضله شباب

الأمرة ليس لها أرباب يضل في إحصائها الحساب

لا زال والدعاء يستجاب يبقى لنا ما بقي التراب[١٨]

وتردد أبو دلف على بلاط الأمير البويهي عضد الدولة (٣٣٨-٣٧٢هـ/ ٩٤٩- ٩٨٢م) في شيراز[١٩]، وكان من ندمائه، وحفظت لنا المصادر مداعبة بين أبي دلف وأبي علي أحمد بن الهائم المدائني، تعكس خبرة أبي دلف الوافية بخصائص البلدان، وثقافته الواسعة، مما أضحك عضد الدولة "الذي تعجب من استحضاره خواص البلدان، وأمر له بخلعة سنية ومال"[٢٠].

والتقى النديم (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في أخريات حياة النديم، ويرجح أن اللقاء تم في بغداد قبيل سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧-٩٨٨م، ونحن بهذا لا نستبعد أن تكون وفاة أبي دلف حوالي سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م)، أي قبل نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

بعد، ابن الجوزي، المنتظم. ابن الأثير عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١٢ ج، مراجعة محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٦، ص١٢٩، وسيشار له فيما بعد، ابن الأثير، الكامل. آدم متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص١٩٧.

١٧. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٥ج، شرح وتعليق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص٤١٤، وسيشار له فيما بعد، الثعالبي، يتيمة الدهر.

١٨. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٤.

١٩. وهي قصبة إقليم فارس (Persia)، وهو أحد أقاليم بلاد فارس ويشكل ما يعرف بالهضبة الإيرانية، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٨٣-٢٨٤.

٢٠. ورد وصف هذه المحاورة في مصادر متعددة أقدمها الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، **لطائف المعارف**، تحقيق أ. كنوين، بريل، ليدن، ١٨٦٧م، وسيشار له فيما بعد، ص١٣٢-١٣٣، وسيشار له فيما بعد، الثعالبي في لطائف المعارف، كما أورده القزويني، **التدوين في أخبار قزوين**، ج١، ص٣٦. وأورد ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق أنور محمود زناني، منشورات مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٣٧٩-٣٨٠، نصاً أوسع ممن أورده القزويني، وسيشار له فيما بعد، ابن الوردي، خريدة العجائب، وانظر: Bosworth, C.E. **The Mediaeval Eslamic under World, the Banusasan in Arabic Society and Literature**, 3.Vols, Leiden E.j. Brill, 1976, p.48, وسيشار له فيما بعد، Bosoroth, The Mediaeval Islamic.

وفي إشارة متأخرة وردت لدى عبد المنعم الحميري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، لا يوجد ما يؤيّدها في المصادر الأخرى، يذكر أبا دلف ويلقبه بالشاعر المتشيع الذي عاصر فتنة أبي الحارث أرسلان البساسيري في بغداد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، الذي تمرد في بغداد وأعلن الخطبة للخليفة الفاطمي في مصر المستنصر بالله[٢١] (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، وينسب له الحميري أبياتاً من الشعر قالها أبو دلف في مدح البساسيري والخليفة المستنصر بالله الفاطمي.

(المجتث)

دار السلام هنيئاً لدعوة ابن الرسولِ

جاء النهار وولّى ظلام تلك الدحولِ

ما إن رأيت حصاناً حماله في النصولِ

نورٌ من الله سامٍ هاد لكل خذولِ[٢٢]

ونستبعد صحة هذه المعلومة التي لا يوجد في المصادر التاريخية الأخرى ما يؤيديها[٢٣]. ويستبعد أن يكون العمر قد امتد بأبي دلف إلى أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

والأمر الذي يلفت النظر هي سمة التشيع التي أشار لها الحميري، وهو أمر لا نستبعده تماماً، وما يؤيد ذلك الإعجاب الذي يبديه أبو دلف بالعلويين الزيدية في طبرستان[٢٤]، ويمتدح عدلهم[٢٥]، ويذكر يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٥هـ/٧٤٢م) بقوله عليه السلام[٢٦]، والإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت٢٠٣هـ/ ٨٢٠م)

٢١. لتفاصيل أوفر حول فتنة البساسيري، انظر، كبير، مفضل الله، **الأسرة البويهية في بغداد**، ترجمة فلاح الأسدي، منشورات بيت الحكمة، ط١١، ٢٠١٢م، ص٢٣٧-٢٤١. وسيشار له فيما بعد، كبير الدولة البويهية في بغداد.

٢٢. الحميري، محمد عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، **الروض المعطار في خير الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، مطبعة هيدلبرغ، ١٩٨٤م، ص٤٠٦، ٦٢١. وسيشار له فيما بعد الحميري، الروض المعطار.

٢٣. على سبيل المثال، انظر، ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٦، ص٣٢- ٣٧. ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٣٤١-٣٤٨.

٢٤. تقع في البلاد المعروفة بمازندران ومجاورة لجيلان وقومس، وهي بين الري وقومس وبحر الخزر وبلاد الديلم والجيل، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص١٥.

٢٥. أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٩.

٢٦. المصدر نفسه، ص٧٨.

بقوله رضي الله عنه[٢٧]. في حين يذكر الخلفاء الأمويين والعباسيين الذي يذكرهم في رسالته بأسمائهم[٢٨].

ولا ننسى أن أبا دلف عاش في بلاط الأمير الساماني نصر الثاني الذي تشيع في أواخر أيامه على يد الدعاة الفاطميين، الذين اتسع نشاطهم في بلدان المشرق الإسلامي في تلك الحقبة[٢٩]. كما كان يتردد على بلاط الأمير عضد الدولة البويهي في الري، ومن المتفق عليه انتماء الأسرة البويهية للمذهب الشيعي الزيدي[٣٠]. ويدعم هذا مدح أبي دلف لأبي علي العلوي، الذي نلمس منه تشيعه لآل البيت، والذي يقول فيها:

(مجزوء الكامل)

لولا النبي محمد ووصيه[٣١]، ثم البتول[٣٢]

لعلمت أني شاعرٌ أسم الرجال بما أقول

لكنني أعرضت عن ذاك الحديث، وفيه طول[٣٣]

ويورد أبو حيان التوحيدي أبياتاً من الشعر لأبي دلف يعارض فيها الاعتزال مذهب الوزير الصاحب بن عباد، وينتقد فيها الصاحب في إفراطه في مذهب الاعتزال، وتفصح هذه الأبيات عن إيمان أبي دلف بعقيدة الجبر الذي يناقض عقيدة حرية الإرادة التي يؤمن بها المعتزلة:

---

٢٧. أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٨، بايعه الخليفة المأمون بولاية العهد سنة ٢٠١هـ/٨١٨م، ويقال إنّ الخليفة المأمون دسّ له السم في الطريق إلى بغداد سنة ٢٠٣هـ/٨٢٠م، في قرية نوقان بالقرب من مدينة طوس، للمزيد، انظر، الدوري، عبد العزيز، **العصر العباسي الأول**، ط٣، دار الطليعة، بيروت، شباط، ١٩٩٧م، ص١٦٠– ١٦٣.

٢٨. أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٥٨، ٦٤، ٨٩، ٩١.

٢٩. النديم، أبو الفرج محمد بن علي بن يعقوب (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **الفهرست**، مراجعة يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٢٥، وسيشار له فيما بعد، النديم، الفهرست. الطوسي، نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، **سياست نامه (سير الملوك)**، ترجمه عن الفارسية، يوسف بكار، ط٢، منشورات دار الثقافة، قطر، ١٩٨٧م، ص٢٦٢–٢٦٨، بارتولد، **تركستان**، ص٣٧١.

٣٠. حول انتماء البويهيين للمذهب الزيدي، انظر، ناصر خسرو، أبو معين الدين المرزوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامه**، ترجمه عن الفارسية، يحيى الخشاب، القاهرة، ط١، ١٩٤٥م، ص٥، الدوري، عبد العزيز، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، ط١، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م، ص٢٤٨.

٣١. يقصد بالوصي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣٢. وهي فاطمة الزهراء أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج الإمام علي وأم ولديه، سبطي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحسن والحسين.

٣٣. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٤١٥.

(مجزوء الرمل)

يا بن عبّاد بن عبّا س بن عبد الله خُذْها ج

تُنْكِرُ الجَبْرَ وقد أَخْرَ جْت للعالم كرها[٣٤]

إن جُل ما وصل إلينا من تراث أبي دلف الشعري يتمثل في مقطوعات شعرية متناثرة بين طيات المصادر، ولعل أهمها ما اصطلح على تسميته بالقصيدة الساسانية التي يمتدح فيها أبو دلف بني ساسان[٣٥]، ويسجل فيها أنواع حيلهم، وأساليبهم في الخداع والتظاهر، كطريقة للوصول إلى جيوب الناس، وما اشتملت عليه القصيدة الساسانية من أصناف الحيل والفئات التي يندرجون تحتها. مما يؤكد أن أبا دلف كان يندرج ضمن فئة المكدين[٣٦]، ويتقن لغتهم السرية، وكان يجيدها تماماً، وعلمها للوزير الصاحب بن عباد، وأعلن أبو دلف في قصيدته صراحة بأنه يعتز بالانتماء إلى بني ساسان بقوله:

٣٤. التوحيدي، **أخلاق الوزيرين**، ص١٧٤-١٧٥، التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، **البصائر والذخائر**، تحقيق عبد الرزاق محيي الدين، مطبعة النجاح، بغداد، ط١، ١٩٥٤م، ج٣، ص١٢٨، وسيشار له فيما بعد، التوحيدي، البصائر والذخائر. ياقوت الحموي، **الإرشاد**، ج٢، ص٣٠٣-٣٠٤، ياقوت الحموي، شهاب الدين الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ج٦، ص٢٧٣. ويرد البيتان من الشعر لدى الثعالبي مع اختلاف يسير في البيت الثاني على النحو التالي:

تتكر الجبر وقد أدخلت في العالم كرها

الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص١٨٨، وانظر، السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج١، ص١٩٦، ج٢، ص٩٦٥.

٣٥. ليس المقصود هنا الدولة الساسانية، وإنما سادت هذه التسمية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فأصبح يطلق على المكدي لقب ساساني نسبة إلى ساسان بن بهمن بن اسفنديار الذي هجر والده الملك دارا، ولحق باصطخر وعمل راعياً باعتباره كبير الشحاذين ورئيسهم، الحسين، أحمد، **أدب الكدية في العصر العباسي: دراسة في أدب الشحاذين والمتسولين**، ط٢، دار المصادر للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٥م، ص٢٤-٢٥، وسيشار له فيما بعد، الحسين، أدب الكدية.

٣٦. هناك خلاف في أصل الكلمة بين من يجعلها عربية محرفة من أجدى ومنها الجادي وتعني السائل، والحرفة منها الجدية أو التسول ومن معانيها أكدى أي ألح في السؤال والاستجداء. وهناك من يرى أنها فارسية معربة من كدامى كردن ومعناها المتسول المحتاج، الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٣٥٦، ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩/١٩٩٩م، ج٢، ص٢١٤-٢١٥. الخفاجي، شهاب الدين، **شفاء الغليل فيما في اللغة العربية من الدخيل**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحسيني، ط١، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص٢٢٨، وللمزيد من التفاصيل حول اشتقاقات الكلمة وومدلولاتها، الحسين، **أدب الكدية**، ص١٤-١٨. وسيشار له فيما بعد الخفاجي، شفاء الغليل.

(الهزج)

على أني من القوم الـ بهاليل بني الغر

بني ساسان والحامي الـ الحمى في سالف الدهر[٣٧]

وما تكشفه القصيدة المنسوبة لأبي دلف من معلومات عن بني ساسان ونمط عيشهم، تقف شاهداً على مصاحبة أبي دلف لهم[٣٨]، وهي "التي أعطته الشهرة التي حظي بها، وعارض فيها أبو دلف القصيدة الدالية للشاعر الأحنف العكبري (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) في المناكاة[٣٩]، وذكر المكدين والتنبيه على فنونهم وأنواع رسومهم، وهي التي رفعت مكانته لدى الوزير الصاحب بن عباد، حتى يقال إن الصاحب كان يحفظها حفظاً عجيباً[٤٠].

ويلازم هذه الصفة في شخصية أبي دلف صفة السائح والجوالة كما وصفه الثعالبي الذي يعده كثير التطواف، مشحوذ المدية في الجدية (الكدية) ويفهم هذا من شعر أبي دلف نفسه بقوله:

(الهزج)

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلي[٤١]

وفي بيت آخر منسوب لأبي دلف يعبر عن هذا المعنى بقوله:

(الوافر)

وجاورت الملوك ومن يليهم كما جاورت أبدال اللكام[٤٢]

---

٣٧. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٤١٦-٤٣٦.

٣٨. أبو دلف، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٩-١١، النجار، محمد رجب، **الشطار والعيارين في التراث العربي**، عالم المعرفة، الكويت، أيلول، ١٩٨١م، ص٢٩٨-٢٩٩م.

٣٩. أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم، الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج١، ص٤١٤ (الحاشية).

٤٠. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص٤١٤، التوحيدي، **أخلاق الوزيرين**، ص١٨٥، وبحث هذا الجانب وتحليل مضامين القصيدة الساسانية خارج نطاق هذا البحث، وقد بحث سابقاً بشكل مفصل لدى كلٍّ من:

Bosworth, **The Mediaeval Islamic**, p.p96-131.

الحسين، **أدب الكدية في العصر العباسي**، ص٧٤-٧٩، ٩٣-٢٢٧.

٤١. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٤١٤.

٤٢. الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص٢٣٣، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م، م١، ص١٧٢، والأبدال، يضرب بهم المثل في الزهد والانقطاع عن الدنيا، وعددهم كما يقال لا يتجاوز السبعين، ولا ينقصون، فكلما توفى أحدهم قام بدل عنه يسد مكانه، وينوب منابه، ولا يسكنون مكاناً إلا جبال اللكام، وهو الجبل المشرف على مدينة أنطاكية والمصيصة وطرطوس، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٢٢، ابن منظور، **لسان العرب**، (مادة بدل)، م١، ص٣٤٤.

وتظهر أبيات شعرية أخرى أبي دلف متحاملاً على الزمان متشائماً، وتؤكد صفة الساسانية، والمكدي التي ألصقها الدارسون به.

(البسيط)

روّق ومحرّق وكل واطبق وأسرف وطبلق لمن يزور

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور[٤٣]

(الهزج)

ومن قوله:

تركت اللحم للإفلاس والدشةْ لضيفي[٤٤]

وفي أبيات أخرى يتضح منها تحامله على الدهر، وغدر الزمان بقوله:

(الرجز)

دهر على أبنائه وثاب تعجبهم أنيابه الصلاب

ما لهم من كيده حجاب يالك دهراً ما له عقاب

ويتهمه الفضل بن العميد "بالكذب والقحة (الوقاحة)، وسلاطة اللسان، ويخاطبه في رسالة أرسلها له بقوله – أي أبا دلف– "جمع الله له من المنظر والمخبر، وبين الدعوى والبينة، وبين القول والحجة، وبين الضمان والوفاء والصداقة والشفقة..." [٤٥].

واشتهر أبو دلف باهتمامه بالعقاقير والأعشاب والمعادن، وخواصها العلاجية، ويظهر أن الفضل بن العميد كان يعول عليه في علاجه من مرضه، وهو مرض النقرس، ويعتب عليه لأنه لم يجد له علاجاً يشفيه من علته[٤٦]. ويلخص أحد الباحثين رأيه في أبي دلف بوصفه بأنه شخصية متعددة الجوانب، شاعر مكد، وعالم بالمعادن والحشائش، وجغرافي وطبيب، تلك الصفات كان من الممكن

٤٣. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٤١٥-٤١٦.

٤٤. التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٣، ص١٦٢.

٤٥. انظر نص الرسالة في **أخلاق الوزيرين**، ص٤٣٨-٤٤٥.

٤٦. التوحيدي، **أخلاق الوزيرين**، ص٤٣٩.

أن تجعل منه رجلاً مرموق المكانة، لكنه أخفق، فاتخذ لنفسه فلسفة خاصة، تقوم على التلون والتغير، وخلط الجد بالهزل[٤٧].

والسؤال الذي يثار هنا، هل هناك ارتباط وتلازم بين السعي والتطواف والكدية؟ والذي يتضح من الإشارات حول شخصية أبي دلف، إن هذا التلازم موجود، فصفة التطواف والترحال صفة ملازمة لشخصية المكدي، ففي نص للبيهقي (ت قبل ٣٢٠هـ/٩٣٢م) ينسب لأحد المكدين قوله "... أوما علمت أن الكدية صناعة شريفة، وهي محببة لذيذة، صاحبها في نعيم لا ينفد، فهو على بريد الدنيا، ومساحة الأرض، وخليفة ذي القرنين، الذي بلغ المشرق والمغرب حيث ما حلّ، لا يخاف البؤس، يسير حيث شاء، يأخذ أطايب كل بلد..." [٤٨].

وترك لنا أبو دلف رسالتين تتضمن رحلتين قام بهما، الرسالة الأولى: لرحلته التي زار خلالها مناطق تركستان الغربية، وتركستان الشرقية، والتبت، والصين، والهند[٤٩]، والرسالة الثانية مكملة للأولى دوّن فيها خلاصة مشاهداته في رحلته التي تبدأ من مدينة الشيز جنوب أذربيجان، وتمتد في البداية إلى الشمال حتى مدينة باكو (باكوية) [٥٠]، ثم تفليس [٥١]، ومن هناك عبر أردبيل[٥٢] وشهرزور، ثم باتجاه متعرج إلى الشرق عبر قرمسين، همذان[٥٣]، الري، طبرستان، وقومس[٥٤]، طوس[٥٥]، نيسابور[٥٦]، هراة، ثم بعدها ينتقل أبو دلف إلى إقليم أصفهان[٥٧]، ثم مدن خوزستان[٥٨]، لينتهي خط سير الرحلة.

٤٧. الحسين، **أدب الكدية في العصر العباسي**، ص٧٧.

٤٨. البيهقي، إبراهيم بن محمد، **المحاسن والمساوئ**، ٢ج، تصحيح محمد بدر النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص٢١٧-٢١٨. وسيشار له فيما بعد، البيهقي، المحاسن والمساوئ.

٤٩. كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٠٤.

٥٠. وهي باكو الحالية عاصمة أذربيجان، وتقع جنوب الدربند في إقليم شروان، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢١٥.

٥١. بلدة بأرمينية الأولى، وهي قصبة ناحية جزران في إقليم كورجستان قرب باب الأبواب وهي تبليسي عاصمة جورجيا حالياً، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٤٢.

٥٢. تقع في إقليم أذربيجان، وكانت قصبة الإقليم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٠٢.

٥٣. وهي مدينة إسلامية محدثة، تقع ضمن إقليم الجبال (قوهستان) أو عراق العجم، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٢٠، ٢٢٩.

٥٤. وهو إقليم يمتد بمحاذاة جبال البزر، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٤٠٤.

٥٥. وهي مدينة مشهد الإيرانية الآن، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٤٣٠.

٥٦. وهي نيشابور بالفارسية الحديثة، وسميت بذلك نسبة للملك الساساني سابور الثاني، وتقع ضمن إقليم خراسان، لسترانج، المرجع السابق، ص٤٢٣-٤٢٤.

٥٧. وهي بالفارسية (أسباهان)، وتقع في الطرف الشرقي بين إقليم الجبال في إيران الحالية، لسترانج، المرجع السابق، ص٢٣٨.

٥٨. وهي بالعربية بلاد الخوز (الهوز) الأهواز، والأهواز اسم الكورة بأسرها، أما البلد الذي يطلق عليه اسم الأهواز فهو سوق الأهواز، وهي قاعدة إقليم خوزستان، وكانت تسمى قديماً هرمزشهر أو هرمزاردشير، ويسمى اليوم عربستان أي إقليم العرب، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م٢، ص٣٤، لسترانج، المرجع السابق، ص٢٦٧-٢٦٨.

وهناك شكوك أبداها دارسو الرسالة الأولى حول مدى صحة زيارة أبي دلف للأماكن التي ذكرها في الرسالة، فضلاً عن الخلط في أسماء القبائل التركية[٥٩]، والرحلة – حسب رأيهم – مزيج بين مشاهداته للأماكن التي زارها فعلاً، إلى جانب نقولاته من مصنفات الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه في ارتياد تلك البلدان[٦٠]، في حين نراه أكثر واقعية ورصانة في رسالته الثانية، وفي وصفه للبلدان التي زارها، بالرغم مما يثار من تحفظ على زيارة أبي دلف لبعض البلدان المذكورة في الرسالة الثانية مثل بلاد الديلم وخوارزم، كونه لا يمدنا بمعلومات مفصلة حولها، ويغلب على وصفه لها طابع العمومية والاختصار، يناقض عمق ودقة الوصف الذي قدمه لبلدان أخرى، واستخدام المصطلحات تنبئ عن اعتماده على مصادر شفوية، ناهيك عن افتقارها للترتيب الزمني للبلدان التي زارها، مما يدعم الرأي القائل بأن الرسالة الثانية، استندت على مواد جمعها المؤلف، هي حصيلة أسفاره الكثيرة، دونت لاحقاً اعتماداً على الذاكرة[٦١].

فهو يفتتح رسالته الأولى بقوله سيدي ومولاي، ويذكر فيها اسم الأمير الساماني نصر بن أحمد، ويلقبه بملك خراسان الموسوم بإمارتها، عظيم الشأن، كثير السلطان[٦٢]، ويستفتح رسالته الثانية بتوجيه خطابه لسيديه الاثنين صاحبي الفضل عليه، دون أن يذكر اسميهما إذ يقول: "فإنني قد جردت لكما يا من أنا عبدكما، أدام الله لكما العز والتأييد، والقدرة والتمكين"[٦٣].

ويورد دارسو الرسالتين بعض الفرضيات حول أسماء الشخصيات المعاصرة لأبي دلف الذي أهدى عمله لهم، فهناك من يفترض بأنه أهداهما للأمير الساماني نصر الثاني، ووزيره أبي عبد الله الجيهاني الذي عاش أبو دلف في بلاطهما[٦٤]، وفي فرضية أخرى أن أبا دلف أهدى رسالته الأولى للأمير أبي الحارث محمد بن أحمد بن خلف بن الليث حاكم سجستان الذي كان يدين بالتبعية للسامانيين، وفي هذه الفترة أهدى إليه عمل آخر، وهو كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول، تم تدوينه باللغة الفارسية سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م[٦٥]. وربما أهدى أبو دلف رسالته للأمير البويهي ركن الدولة البويهي، ووزيره الصاحب بن عباد الذي عاش أبو دلف ردحاً من الزمن في جوارهما، وربطته علاقة وثيقة بالوزير الصاحب بن عباد[٦٦]. أو ربما أهدى أبو دلف عمله للأمير عضد الدولة البويهي

٥٩. كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٠٤.

٦٠. ميكيل، اندريه، **جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي**، ٤ج، ترجمة إبراهيم خوري، دمشق، ١٩٨٢م، ج١، ق١، ص٢٣٦، وسيشار له فيما بعد، ميكيل، جغرافية دار الإسلام البشرية.

٦١. أبو دلف، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٢٠-٢١.

٦٢. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٣٧-٣٨.

٦٣. أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٠.

٦٤. كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٠٤.

٦٥. بارتولد، **تركستان**، ص٧٥.

٦٦. كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٠٤.

ووزيره الفضل بن العميد والذي كان مهتماً بدوره بالكيمياء وعلم الحيل، وكان أبو دلف يتردد عليهما في شيراز[٦٧]، بينا يكتفي ميكيل (Andre Miquel) "بالتعميم أن الرسالة موجهة إلى شخص على صلة مباشرة نوعاً ما بالأمراء السامانيين أو البويهيين"[٦٨].

ويرجح أن أبا دلف أهدى رسالته للأمير الساماني نصر الثاني ووزيره أبو عبد الله الجيهاني استناداً إلى أمرين، الأول: المدح الذي يكيله للأمير الساماني نصر الثاني ويذكره بالاسم، ويلقبه بملك خراسان[٦٩]. والثاني: بأنه لا يستبعد وجود علاقة محتملة بين أبي دلف، والوزير الجيهاني، وربما يكون أبو دلف قد اطلع على كتاب "المسالك والممالك" الذي ينسب تصنيفه للوزير الجيهاني قبيل عام ٣١٠هـ/٩٢٢[٧٠]، وفي أفضل الاحتمالات أن يكون أبو دلف قد عرف الوزير أبا علي الجيهاني الذي خلف والده في الوزارة للأمير نوح بن نصر الثاني[٧١].

ويرى دارسو رحلتي أبي دلف أن الرحلة الأولى إلى الصين والهند كانت بحدود عام ٣٣١هـ/٩٤٢-٩٤٣م[٧٢]، في حين كانت رحلته الثانية إلى أرمينية وأذربيجان وبلاد فارس بين سنتي ٣٣١-٣٤١هـ/٩٤٢-٩٥٢م[٧٣]، استناداً إلى بعض المعطيات التاريخية بالنسبة للرحلة الثانية، إذ كان أبو دلف في مدينة الري سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[٧٤]، وفي مدينة قرمسين سنة ٣٤٠هـ/٩٥١-٩٥٢م[٧٥]. وفي سهل شهرزور سنة ٣٤١هـ/٩٥٢-٩٥٣م[٧٦].

إن اهتمام أبي دلف بوصف البلدان التي زارها جاء ثانوياً، وفي سياق اهتمامه الرئيس بوصف

---

٦٧. التوحيدي، **أخلاق الوزيرين**، ص٢٧٠. Minorsky, **Abu Dulef**, p.15-16. وشيراز وهي قصبة بلاد فارس (Persia)، وتتوسط بلاد فارس، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٨٣-٢٨٤.

٦٨. ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، ج١، ق١، ص٢٣٩.

٦٩. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٣٩.

٧٠. يقع الكتاب في سبع مجلدات، وله أيضاً كتاب التواريخ، وهما مفقودان، واعتمد على كتاب المسالك عدد من الجغرافيين اللاحقين، مثل المسعودي وكرديزي، ويقول المقدسي "بأنه رأى الكتاب في خزانة الأمير عضد الدولة البويهي، ويوجه له نقداً مريراً"، ويذكر أن الكتاب اختصره ابن الفقيه الهمداني. المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠. الكرديزي، **زين الأخبار**، ص٢١٢-٢١٣، ٢٤٦.

٧١. بارتولد، **تركستان**، ص٧٤-٧٥، متز، **الحضارة الإسلامية**، م٢، ص١٧-١٨، كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٣٩.

٧٢. كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص٢٠٤، أبو دلف، الرسالة الثانية (مقدمة المحقق)، ص٨، لعيبي، شاكر، **مقدمة لرحلتي أبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي**، مجلة جامعة الكوفة، السنة٢، ع٣، ٢٠١٣م، ص٣٧، وسيشار له فيما بعد، لعيبي، مقدمة لرحلتي أبي دلف. بينما يرى متز أن الرحلة الأولى كانت حوالي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤، **الحضارة الإسلامية**، م٢، ص١٥.

٧٣. أبو دلف، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٨-٩، لعيبي، **مقدمة لرحلتي أبي دلف**، ص٣٨.

٧٤. المصدر نفسه، ص٧٧.

٧٥. ن.م، ص٦٥. وهي كورة واسعة بين اربل وهمذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٤٢٥- ٤٢٦.

٧٦. ن.م، ص٥٩.

المعادن والعقاقير الطبية والأعشاب وخواصها العلاجية، ويرجع ذلك لاهتمامته بالصيدلة والكيمياء[٧٧]، وهو ما أكده في مقدمة رسالته الثانية بأنه سيركز اهتمامه على ذكر المعادن الطبيعية، والعجائب المعدنية لأنها برأيه "أعم نفعاً"[٧٨].

إن هناك جانبين مهمين يشكلان حجر الأساس في تكوين أبي دلف الثقافي والفكري، ثقافته كشاعر، وانتماؤه لطوائف المكدين وبني ساسان، وبحثه عن موضوعات مسلية في مجالس الأمراء والوزراء الذي يتردد على بلاطهم، باعتبار ذلك جزءٌ من ثقافة العصر الذي يعيش فيه[٧٩]. ويدعم هذا في شخصية أبي دلف ورحلاته، ولعه بالأعاجيب، والغرائب والأساطير، والروايات الشفوية المتناقلة ذات الطابع الأسطوري، وإيراده الحكايات عن بعض الظواهر الطبيعية فيما يتصل بالأماكن التي زارها، وهو وإن كان يورد بعض العجائب والغرائب في رسالته الأولى حول الهند، وأرخبيل الملايو، إلا أننا نجده في رسالته الثانية ينم عن حس نقدي سليم تجاه العجائب والغرائب، في إطار رحلته إلى أرمينية وبلاد فارس[٨٠].

والأدب الجغرافي العربي الإسلامي حافل بالعجائب والأساطير أو الجغرافيا الأسطورية كما يسميها كراتشوفسكي (Karchoviski, L.IU)[٨١]. ولعل ظهور هذا النوع من الأدب يعود لعدة عوامل في مقدمتها المفارقات الفكرية العقائدية والحضارية بين العالم الإسلامي والعوالم الأخرى التي لا زالت معرفة العالم الإسلامي حولها ضئيلة[٨٢]، إضافة لولع الناس بالعجائب والغرائب، وكانت تشكل مادة للسمر في مجالس الخلفاء، ودكاكين الوراقين، فإلى جانب قصص البحارة والربابنة التي كانت تشكل جزءاً من ثقافة عصر أبي دلف، وأصبحت الحاجة لاحقاً متزايدة لهذا النوع من الأدب العجائبي[٨٣]، لأن "ذكر عجائب خلق الله تعالى يستحب التحدث بها إظهاراً لقدرته تعالى في عجائب مخلوقاته"[٨٤].

---

٧٧. أبو دلف، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٢٢.

٧٨. المصدر نفسه، ص٣٠.

٧٩. المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ص٢١. ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، ج١، ق١، ص٣٨٤.

٨٠. العظمة، **العرب والبرابرة**، ص٣٩.

٨١. كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ج١، ص٥١، ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، ج١، ق١، ص٢١٠-٢٢٢.

٨٢. للمزيد من التفاصيل حول نظرة المسلمين للشعوب الأخرى خصوصاً الصين والهند والترك، انظر، العظمة، **العرب والبرابرة**، ص٩٦-١٤٧.

٨٣. النديم، **الفهرست**، ص٤٢٢، المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م)، **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ج١، ص٤ وما بعدها، وسيشار له فيما بعد، المقدسي، البدء والتاريخ. آدم متز، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص٦٧، كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص١٨٦.

٨٤. الغرناطي، **تحفة الغرائب**، ص١٠٦، ٣٦- ٣٧، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٥-٦، وسيشار له فيما بعد، القزويني، آثار البلاد. **عجائب المخلوقات**، ص٨، ابن الوردي، **خريدة العجائب**، ص٦-٧.

السمات المنهجية والأسلوبية في الرسالتين:

ترك لنا أبو دلف رسالتين متباينتين من حيث وجهتهما، والبلدان التي زارها، وطبيعة اهتماماته، ناهيك عن أسلوبه في كلتا الرسالتين، ويشكك ميكيل بأن أبا دلف في رحلته الأولى قد وصل إلى مقاطعات نان شان وقنصوه على بعد (٥٠٠-٧٠٠) كم إلى جنوب الحدود الجنوبية من منغوليا، وما يعزز هذا الشك الاضطراب في تعداد مسميات القبائل التركية التي مرّ بها، وإن جميع المعلومات التي أوردها عن ماليزيا (كلة) والهند منتحلة وضعيفة[٨٥].

ويشكك محققا الرسالة الثانية بغوليكاوف وخالدوف (Bulligakova, P.G & Khalidov, A.B)، في وصول أبي دلف لبلاد الديلم وخوارزم، استناداً إلى أن أبا دلف استخدم مصطلحات لا تنم عن المشاهدة المباشرة مثل (قال) و(يقولون) و(بلغني) التي تؤكد بأن معلوماته عن تلك البلدان استقاها عبر مصادر شفوية، أو منقولة من مصادر مكتوبة لم يفصح عنها[٨٦].

وتشكل القبائل التركية التي مرّ بها أبو دلف في رحلته إلى الصين محور اهتمامه الرئيس، بحيث ذكر أسماء أحد عشر قبيلة تركية هي البجا[٨٧]، الجكل[٨٨]، البغراج[٨٩]، التبت[٩٠]، الكيماك[٩١]، الغز[٩٢]، التغزغز[٩٣]، الخرخيز[٩٤]، الخرلخ[٩٥]، الخطلخ[٩٦]، والختيان[٩٧]، وأورد تفاصيل متفاوتة

٨٥. ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، م١، ق١، ص٣٨٤.

٨٦. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٥، ٥٦، ٧٥، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٢٠-٢١.

٨٧. وهي إحدى القبائل التركية، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٠.

٨٨. قبيلة تركية تقطن حول بحيرة ايسيك كوك في قيرغستان، انظر كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٩٧، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٢، ويعرفها ياقوت بأنها بلد وراء نهر سيحون من بلاد تركستان قرب طراز، **معجم البلدان**، م٢، ص١٧-١٧٣.

٨٩. هم قوم من الترك، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٠-٥٨١.

٩٠. لا توجد قبيلة باسم التبت، وإنما تقع منطقة التبت في منطقة محصورة بين الجبال وسط آسيا، وتحدها الصين من الشرق، وتركستان الشرقية من الشمال، وكشمير من الغرب، والهند من الجنوب، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص١١-١٣.

٩١. ويطلق عليهم البجنك، ويقيمون شمال البحر الأسود، وهم قبائل رُحَّل من أصول تركية استقرت من القرن ٤هـ/١٠م إلى الشمال من بحر قزوين، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٨٧، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٠، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٥١٦.

٩٢. أو الاوغوز، وهم جزء من الأقوام التركية الرحل المقيمين حول بحر قزوين وهم من سلالة الأتراك الغربيين، وسكنوا على ضفاف الفولغا إلى نهر الدانوب، أي الأراضي ما بين بحر الخزر إلى أواسط مجرى نهر سيرديريا ونهر جيحون، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٨١-٣٨٣، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٨، بارتولد، فلاديمر، **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص٥٠، العظمة، **العرب والبرابرة**، ص١٤٠.

٩٣. ويسمون بالتركية كوك أوغوز أو الطقزغز، ويقطنوا حوض نهر أورخون جنوب بحيرة بايكال إلى الشرق من بلاد الصين، وبلادهم أكبر بلاد الأتراك، وكانوا قديماً ملوك قبائل الترك، وهم متنقلون صيفاً وشتاءً، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٨٣، البكري، أبو عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، منشورات عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ص٣٢٩، وسيشار له فيما بعد، البكري، معجم ما استعجم. القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٢، الأدريسي، أبو عبد الله محمد (ت ق٦هـ/ ١٢م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، ٢م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، م١، ص٥١١- ٥١٢. وسيشار له فيما بعد، الأدريسي، نزهة المشتاق.

القيمة عن نظامهم السياسي، ودياناتهم، وبعض التفاصيل المتصلة بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية[٩٨].

والمعلومات التي أوردها عن الصين قليلة ونادرة نوعاً ما، وباستثناء الوصف الذي قدمه لمدينة سندابل[٩٩]، ويورد تفاصيل عن ديانات الهنود، ومدى التداخل بين المعتقدات البوذية والهندوسية، وتفاصيل حول عدد من الجزر والبلدان الهندية، مثل كلة[١٠٠]، والصيمور[١٠١]، وجاجلي[١٠٢]، وقشمير[١٠٣]، وكابل[١٠٤]، وكولم[١٠٥]، والمولتان[١٠٦]. ناهيك عن المعلومات التي يزودنا بها عن

---

٩٤. يعيشون إلى الشرق من الصين بين الصين وبلاد التبت، وهي بلاد باردة، وهم بادية متنقلون بحثاً عن الكلأ والماء، ويدعى ملكهم خان الخرخيز، المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج٤، ص٦١، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٧٥، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٣، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م١، ص٥١٩-٥٢٠.

٩٥. أو القارلوق (خرلوق) وبالتركية خارلوق، ومفرده قرلوغ خرلخ أي الملبد بالغيوم، وهم قبيلة تركية متنقلة في شرق وجنوب بحر آراك في آسيا الوسطى، المتاخمة للصين، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٧١، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٤، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م٢، ص٧١١.

٩٦. أو القطلغ، وتعني بالتركية الحظ السعيد والبركة، وهم شعب تركي يقيم حول الطريق الغربية من تركستان وفي الجزء الجنوبي من الصين، كرديزي، **زين الأخبار**، ص٣٨٨، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٥.

٩٧. أو القره خطاي أو الختيان السود وهم شعب مغولي، ويسمون الخطا، موطنهم الأصلي في الصين ثم انتقل قسم منهم إلى آسيا الوسطى، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٣.

٩٨. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٤-٥٥.

٩٩. هناك اختلاف حول أصل التسمية فهناك من يعتقد بأنها مدينة شانتان الصينية (Shantan) وهي المدينة الرئيسة في ولاية تشانغيه الصينية أي قانصوه (Kan-chu) وهناك من يعتقد أنها شاندونغ (Shandoung) التي تقع شرق الصين على البحر الأصفر، والأرجح أنها خانقو (كانتون) (Canton) إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أورده النديم، نقلاً عن أبي دلف في أن خانقو هي مدينة التجار والأموال في الصين، **الفهرست**، ص٥٣٩، القزويني، **آثار البلاد**، ص٤٥-٤٦، عزيز العظمة، **العرب والبرابرة**، ص١٩، مريزن عسيري، **الرسالة الأولى**، ٣٠-٣١.

١٠٠. كوالامبور من مملكة الزايج، وهي مدينة من مدن الهند من جهة الصين، وهناك من يرى أنها جزيرة (كرا) في شبه جزيرة الملايو، وهناك من يرى أنها (كله بره) في شبه جزيرة ملقا المقابلة لسومطرة، ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن علي (ت حوالي ٣٤٠هـ/٩٥١م)، **مختصر كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص١٢، وسيشار له فيما بعد، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م٤، ص٥٤٣، الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٩٤.

١٠١. مدينة بأرض الهند قريبة من ناحية السند قرب الديبل، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٤٩٩-٥٠٠، القزويني، **آثار البلاد**، ص٩٧، الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٥٢، كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص١٦٠-١٦١.

١٠٢. وهي مدينة بأرض الهند، القزويني، **آثار البلاد**، ص١٢٤.

١٠٣. وهي المنطقة الواقعة شمالي مقاطعة البنجاب الحالية، وهي إحدى مدن قنوج وهي قشمير الداخلة، وقشمير الخارجة، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٤٠٠، أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص٣٦١، القزويني، **آثار البلاد**، ص١٠٤-١٠٥.

١٠٤. تقع بين الهند ونواح سجستان وغزنه، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٤٨٣.

١٠٥. وهي مدينة بأرض الهند على الساحل الجنوبي الغربي من الهند، وهي مشهورة بإنتاج الفلفل، ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، ص٦٢، القزويني، **آثار البلاد**، ص١٠٦-١٠٧، الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٤٦.

١٠٦. أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٠-٧٥، وهي آخر مدن الهند مما يلي الصين، وسميت المولتان لأن معناها فرج بيت الذهب، المقدسي، أبو عبد الله (ت٨٨٠هـ/ ٩٩٠م) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع فهارسه محمد مخزوم، دار

المعادن والعقاقير والأعشاب وفوائدها الطبية، وخواصها العلاجية، فيترجم لما مجموعه (ستة وأربعون) نوعاً من المعادن والعقاقير.

وفي رسالته الثانية، يصف رحلته من بلاد الشيز[١٠٧]، وشهرزور، والران[١٠٨]، والطرم[١٠٩]، وموقان[١١٠]، وباكويه، واردبيل وأذربيجان[١١١] وتفليس، وقبان[١١٢]، وخاجين[١١٣]، وبرذعه[١١٤]، والبليقان[١١٥]، باجنس[١١٦]، نيم ازراي، وديلمستان[١١٧]، وبير[١١٨]، ودزران[١١٩]، وأرمينيا[١٢٠]، وحلوان[١٢١]، وماسبذان[١٢٢]، وأريوجان[١٢٣]، والسيروان[١٢٤]، والصيمرة[١٢٥]، وقرمسين،

إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٤٠٨هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٦٤-٣٦٥. وسيشار له فيما بعد، المقدسي، أحسن التقاسيم. ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٢٦٣-٢٦٤، القزويني، **آثار البلاد**، ص١٢١، الحميري، **الروض المعطار**، ص٥٤٦.

١٠٧.ناحية بأذربيجان، وقصبتها أرمينية، وتسمى اليوم تخت سليان وتقع على الحد الغربي لإقليم الجبال، ياقوت، معجم البلدان، م٣، ص٤٣٥-٤٣٦، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٥٨-٢٥٩. والتزم الباحث بترتيب البلدان كما وردت في متن الرسالة الثانية.

١٠٨.مدينة بين مراغة وزنجان، وهي ولاية واسعة جنوب أذربيجان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٢١، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢١١.

١٠٩.مدينة تقع إلى الشمال من زنجان على امتداد أسفل المرتفعات الجبلية، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٣٦-٣٧، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٦٠.

١١٠.وهي ولاية تقع في أذربيجان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٢٦١.

١١١.كورة تلي الجبال، وتلي كورة أرمينية من جهة الغرب، ويتصل حدها من الشمال ببلاد الديلم والجبال، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص١٥٥-١٥٧.

١١٢.مدينة وولاية بأذربيجان، وتقع حالياً في أرمينيا، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٣٤٤.

١١٣.وهي بالأرمينية (خاتشين)، وتقع شمال سلسلة جبال كارانجس، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٧ (الحاشية).

١١٤.بلدة في أقصى أذربيجان، وهي قصبة أذربيجان، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص٤٥١-٤٥٣.

١١٥.مدينة تعرف بالأرمينية (فيداكران)، تقع جنوب برذعه، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢١٢.

١١٦.بلد من أعمال خلاط وهو من أرمينية الرابعة، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص١٧٣.

١١٧.نسبة إلى الديلم، بلدة في شهرزور، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٦١٤.

١١٨.تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة شهرزور، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص٦٢٢.

١١٩.بلدة صغيرة في إقليم شهرزور قرب تبريز، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٥١٧.

١٢٠.إقليم يقع في الجزء الشمالي من الأرض يحيط به من جهة الشرق جبال الديلم، ومن الغرب بحر الخزر ومن الشمال إقليم اللان وجبال القبق ومن الجنوب حدود العراق، ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٨٥، وسيشار له فيما بعد، ابن حوقل، صورة الأرض. ياقوت، **معجم البلدان**، م١ن ص١٩١-١٩٣، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢١٦.

١٢١.من مدن إقليم الجبال في إيران الحالية، وهي أول حدود السواد مما يلي الجبال، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٣٣٤، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٢٦.

١٢٢.أصلها ماه سبذان، وهو اسم أطلق على البقعة في جنوب سهل مايوشن في إقليم الجبال، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٤٨، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٣٧.

١٢٣.مدينة في كورة ماسبذان عن يمين حلوان للقاصد إلى همذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص١٩٨-١٩٩.

١٢٤.كورة في الجبال ملاصقة لماسبذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٣٣٧.

واسداباذ[١٢٦]، وهمدان، والدينور[١٢٧]، ونهاوند[١٢٨]، والكرج[١٢٩]، وقم[١٣٠]، والري، وجيلاباذ[١٣١]، ودنباوند، وطبرستان، وجرجان[١٣٢]، وسمنان[١٣٣]، والدامغان[١٣٤]، وبسطام[١٣٥]، وطوس، ونيسابور، وهراة، إبذج[١٣٦]، ويختم رحلته في منطقة لورستان[١٣٧]، والأحواز، إذ مرّ في تستر (ششتر)[١٣٨]، وعسكر مكرم[١٣٩]، ورام هرمز[١٤٠]، ودورق[١٤١]، وآسك[١٤٢]، وأرجان[١٤٣]، وهنديجان[١٤٤]، ليختم رحلته بالحديث عن السوس[١٤٥]، وهي آخر المعالم الجغرافية التي وصفها لتنتهي بذلك رحلته الثانية.

والقاسم المشترك بين الرسالتين اهتمام أبي دلف بوصف المعادن المفيدة، إلى جانب اهتمامه بالخواص الكيميائية لهذه المعادن، واستخداماتها العلاجية، والاستخدامات الطبية للنباتات، فهو يترجم في رسالته الثانية لحوالي (أربعين) مكاناً توجد فيها المعادن الطبيعية، وهذا ينسجم مع ما ذكره في

١٢٥.بلد بين إقليم الجبال شرق ماسبذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٤٩٩.

١٢٦.مدينة إلى الغرب من مدينة همذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص٢٨٠.

١٢٧.مدينة في أعالي الجبال قرب قرمسين، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٦١٦.

١٢٨.مدينة جنوب مدينة همذان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٣٦١-٣٦٢.

١٢٩.مدينة بين همذان وأصبهان وهي جورجيا الحالية وقصبتها تفليس في أعلى نهر الكر، وتسمى قديماً كرج أبي دلف نسبة لأبي القاسم بن عيسى العجلي أول من مصرها و جعلها مقراً له، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢١٦.

١٣٠.تقع شمال فارس وهي مدينة مستحدثة إسلامية مصَّرها طلحة بن الأحوص الأشعري، ياقوت، **معجم البلدان**، م٤، ص٤٥-٤٥١.

١٣١.وهي من ضواحي مدينة الري من جهة الشرق، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٢٣٣.

١٣٢.كركان بالفارسية وهو أحد أقاليم طبرستان، وتقع في جنوب شرق بحر قزوين، وقصبة الإقليم مدينة جرجان، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٤١٧-٤١٨.

١٣٣.بلد بين الري ودامغان في إيران، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٢٨٥.

١٣٤.بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قاعدة إقليم قومس، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٤٠٥.

١٣٥.من مدن إقليم قومس، وبها قبر الصوفي المشهور الشيخ أبو يزيد البسطامي (ت٢٦٠هـ/٨٧٤م)، وبالقرب منها قصر بناه سايور ذي الأكتاف (شايور الثاني)، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٤٠٦.

١٣٦.كورة ومدينة بين خوزستان وأصبهان، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص٣٤٢-٣٤٣.

١٣٧.ومعناها بلاد اللر، وهم جيل من الأكراد، وتقع إلى الجنوب من همذان، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٣٥.

١٣٨.يسميها الفرس شوشتر، وتقع شمال مدينة الأهواز، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٣٤.

١٣٩.مدينة في الأهواز على نهر المسرقان، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٧١.

١٤٠.إلى الشرق من الأهواز ولا زالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، وسميت بذلك نسبة للملك الساساني هرمز حفيد أردشير بابكان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص١٩، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٧٨.

١٤١.مدينة تقع على نهر كرجه بخوزستان، وهي قصبة كورة سُرق، ياقوت، **معجم البلدان**، م٢، ص٥٤٩-٥٥٠، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٧٦-٢٧٧.

١٤٢.بلدة بين ارجان والدورق بنواحي الأهواز بناها الملك الساساني قباذ بن فيروز، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٧٩.

١٤٣.يسميها العجم أرغان، وهي متوسطة بين شيراز وسوق الأهواز، ياقوت، **معجم البلدان**، م١، ص٧٢، لسترانج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٢٨٣.

١٤٤.بلدة في خوزستان تقع بين أسك وأرجان، ياقوت، **معجم البلدان**، م٥، ص٤٨٠.

١٤٥.بلد في خوزستان، وهي تعريب الشوش، ومعناه الحسن والنزهة واللطيف، ياقوت، **معجم البلدان**، م٣، ص٣١٩.

مستفتح رسالته الثانية بأنه سيركز اهتمامه على المعادن الطبيعية لأنها حسب قوله أعظم نفعاً[١٤٦]. ويعد الأول من بين الجغرافيين الذي تحدث عن منابع النفط في باكو (باكويه) في أذربيجان[١٤٧].

ويعزو بعض الدارسين هذا الميل عند أبي دلف بسبب اشتغاله بالصيدلة والكيمياء والطب[١٤٨]، وانتمائه لجماعة بني ساسان، وما أورده أبو دلف من معلومات طبية، يصنف في دائرة الطب الشعبي، وهو مبني على التجربة والمشاهدة والخبرة دون اكتشاف السبب العلمي، ويلاحظ أن أبا دلف لا يتوانى عن نقل ما سمع أو قيل له من أخبار، وهو مثل غيره من الرحالة والجغرافيين المسلمين تمتزج لديه الحقيقة بالخيال والواقع بالأسطورة[١٤٩]، مع أنه يحاول اختبار الأشياء بنفسه، مثل حديثه عن زئبق[١٥٠] مدينة الشيز بقوله: "وهو أجل من الخراساني، وأثقل وأوفى، وقد اختبرناه، وتقرر من الثلثين واحد في كيان الفضة المعدنية، ولم نجد ذلك في المشرق"[١٥١].

ونجد اهتماماً لديه بالنواحي العمرانية، خصوصاً المباني التي شيدها الفرس الساسانيون، ويقدم معلومات تاريخية عنهم، ويقدم وصفاً دقيقاً للمعالم الأثرية سواءً كانت ساسانية كسروية أو إسلامية، كما ينسب بعضها لعرب اليمن وللغساسنة. ويبحث في سبب التسمية، ويعطي إضافات قيمة حول ما طرأ على ذلك الأثر العمراني من خراب أو عمارة[١٥٢].

ويقدم أبو دلف معلومات تاريخية قيمة حول الأمم المعاصرة له، مثل حديثه عن طقوس الاعتراف عند المسيحيين الأرمن في باجنيس[١٥٣]، وعن الكيانات الكردية المعاصرة في مدن شهرزور[١٥٤]، والعلويين في طبرستان[١٥٥].

ويبدي أبو دلف خصوصاً في رسالته الثانية، اهتماماً بذكر الأساطير الشعبية المتداولة على ألسنة العامة، مثل قصة بناء مدينة الشيز[١٥٦]، والمعالم الأثرية الخربة في صحراء البلاسجان[١٥٧]،

١٤٦.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٠.

١٤٧.المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦.

١٤٨.المصدر نفسه (مقدمة المحقق)، ص١-٢٤، ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، م١، ق١، ص٢٣٨.

١٤٩.الحسين، **أدب الكدية في العصر العباسي**، ص٢٠٣-٢٠٤.

١٥٠.معدن يستخدم في تخليص المعادن الثمينة كالذهب والفضة من الشوائب، الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. وسيشار له فيما بعد، الجواليقي، المعرب.

١٥١.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٢-٣٣.

١٥٢.انظر وصفه لبيت النار في بلدة الشيز، **الرسالة الثانية**، ص٣٥-٤٠. وقصر شيرين، ص٦٠-٦١، وطاق الحمام، ص٦١، والمنحوتات الكسروية في شبديز، ص٦٥-٦٦، قنطرة النعمان، ص٦٧-٦٨.

١٥٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٥٤-٥٥.

١٥٤.المصدر نفسه، ص٥٧-٦٠.

١٥٥.المصدر نفسه، ص٨٣-٨٤.

١٥٦.المصدر نفسه، ص٣٨-٤٠.

ومدينة دزوان من مدن اقليم شهرزور[١٥٨]، وقنطرة النعمان[١٥٩]، والأسطورة المتداولة حول بناء مدينة همذان[١٦٠]، وقنطرة تستر[١٦١].

وثمة قاسم مشترك آخر بين الرسالتين، وهو اهتمام أبي دلف بذكر العجائب، والأمور الخارقة للمألوف، ومن بين القصص الغريبة التي ساقها في رسالته الأولى كيفية وفاة نصر بن أحمد الساماني[١٦٢]، والتي لا نجد في المصادر الأخرى ما يؤيدها، حتى إن ناسخ الرسالة نفسه شكك في صحة هذا الخبر[١٦٣]، كذلك الوصف الذي أورده للصنم الأكبر في مدينة الملتان والقبة العظمى[١٦٤]. وهو وصف شكك فيه معاصره النديم[١٦٥]، كما شكك فيه ناسخ الرسالة[١٦٦]. وهذا ينسحب على ما أورده أبو دلف في رسالته الثانية، عن بيت النار في مدينة الشيز والذي يوقد كانونه منذ سبعمائة سنة، فلا يوجد فيه رماد البتة، ولا ينقطع الوقود عنه ساعة من الزمان[١٦٧]. وقصة الدود الذي يتولد عن الثلج في جبل ماسيس في أرمينيا "تكون الدودة نحو العشرين ذراعاً وأكثر"[١٦٨]، والثلج الذي يتساقط على النصف الذي يلي المشرق (خراسان) من الأيوان الذي بناه بهرام جور، ولا يقع في نصفه الأخر الذي يلي العراق[١٦٩]، والرواية التي أوردها عن مطبخ كسرى وآلية تداول أطباق الطعام بين كسرى ابرويز الذي ينزل في قصر اللصوص، وابنه الذي يقيم في بلدة أسدأباذ، وبين قصر اللصوص وأسدأباذ أربعة فراسخ[١٧٠]، وبين المطبخ وأسدأباذ ثلاثة فراسخ[١٧١]، وشكك ياقوت في صحة هذه الرواية وأبدى انتقاده لها بقوله: "وهذا بالكذب أشبه منه بالصدق، لأنهم لو طاروا بالطعام على أجنحة النسور في هذه المسافة برد وتأخر عن الوقت المطلوب، إلا أن يكون أطعمة بوارد، ويُبكر بحضورها، ويكون القصد منها تأخير أنواع الطعام كلما أكل نوعاً، أحضر نوعاً

١٥٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٩-٥٠.
١٥٨.المصدر نفسه، ص٦٠.
١٥٩.المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.
١٦٠.المصدر نفسه، ص٧٠-٧١.
١٦١.المصدر نفسه، ص٩٦-٩٨.
١٦٢.المصدر نفسه، ص٥٦-٥٨.
١٦٣.المصدر نفسه، ص٥٨.
١٦٤.المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.
١٦٥.النديم، **الفهرست**، ص٥٣٤-٥٣٥.
١٦٦.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٧٢.
١٦٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٦-٣٧.
١٦٨.المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦.
١٦٩.المصدر نفسه، ص٦١.
١٧٠.الفرسخ يساوي (٣) أميال ويساوي ٦كم تقريباً، هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها بالنظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط١، ١٩٧٠م، ص٩٤. وسيشار له فيما بعد، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية.
١٧١.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٩-٧٠.

أخر..." [١٧٢].

وثمة فارق جوهري بين منهج أبي دلف في التعاطي مع العجائب والأساطير في الرسالتين، ففي حين يورد هذه الأساطير دون تحقق أو نقد في رسالته الأولى، نراه أكثر تحفظاً في رسالته الثانية، فهو يكثر من استخدام مصطلحات، مثل قال، وقيل، ويقال، ويقولون، التي تؤكد استناده على الروايات الشفوية في إيراد الأساطير والمعتقدات السائدة[١٧٣]، ويبدي حساً نقدياً سليماً تجاه ما أورده من عجائب[١٧٤]. ويكثر من استخدام مصطلح زعموا[١٧٥]، ويمارس شيئاً من النقد تجاه الروايات المتداولة[١٧٦]. ويولي المشاهدة والعيان شيئاً من اهتمامه[١٧٧].

ويصل أبو دلف إلى الذروة في التحقق من الروايات المتداولة، وما تتناقله المخيلة الشعبية للعامة عن جبل دنباوند حول الدخان المنبعث من قمته، والذي يفسره العامة بأنه نَفَسْ المارد الذي حبسه أفريدون الملك[١٧٨]، وما النار التي تلوح من خلال الدخان سوى عيني ذلك المارد، عندها قرر أبو دلف صعود الجبل بنفسه للتحقق من هذه الأساطير، مخاطراً بحياته، ووصل إلى الارتفاع الذي كان كافياً ليثبت أن الدخان الذي يعدّه الأهالي كائناً أسطورياً حبيس الجبل[١٧٩]، ما هو إلا بخار النبع الكبريتي، فإذا أشرقت الشمس على ذلك الكبريت المستحجر التهب، فظهر منه نار، والرياح التي

١٧٢.ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م٥، ص١٧٣ (مطبخ كسرى).

١٧٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٦، ٧٨، ٩٠.

١٧٤.العظمة، **العرب والبرابرة**، ص٣٩.

١٧٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٥٠، ٥٤، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٩٤، ٩٦.

١٧٦.المصدر نفسه، ص٥٥.

١٧٧.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٩، ٦١.

١٧٨.تزعم العامة أن سليمان بن داود حبس فيه مارداً من مردة الشياطين يقال له صخر المارد، وزعم آخرون أن أفريدون الملك حبس فيه بيوراسب، وأفريدون بطل شعبي إيراني حيكت حوله الكثير من الأساطير حول انتصاره على الضحاك (الشيطان) بيوراسب، وأما بيوراسب (بيوراسف) فهو أحد الشياطين في المعتقدات الزرادشتية، ويسمى (اجي دهاق)، وصورته في الشاهنامه الفارسية عبارة عن حيوان غريب على كتفه حيتان، ويسمي الكتاب العرب الضحاك بيوراسب، وكانت نهايته كما تقول الأسطورة على يد أفريدون الذي حبسه في جبل دنباوند، أبو دلف، **الرسالة الثانية** (مقدمة المحقق)، ص٨١.

١٧٩.لا صحة لما تناوله الدارسون لرسالتي أبي دلف بأنه هو أول من صعد جبل دنباوند، فيذكر ابن الفقيه على لسان علي بن ربّن الطبري (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) أنه وجه إلى هذا الجبل من يتعرف خبره من الديالمة والطبرية (أهالي طبرستان)، فذكروا أنهم صعدوه في يومين وليلتين وبعض اليوم الثالث، فوجدوا قمته مساحة نحو ثلاثين جريباً أرض، على أنها من بعيد ترى بمنزلة قبة منخرطة في رأي العين، وإنما عليها رمل تغيب فيه الأقدام، وأنهم لم يروا عليها دابة ولا يبلغها طائر ولا حيوان من شدة البرد وعواصف الرياح، وأنهم وجدوا في قمتها ثلاثين نقبة يخرج منها الدخان الكبريتي، ورأوا على أطراف ذلك النقب كبريتاً أصفر كأنه الذهب، وحملوا لنا منه جُرباً، وزعموا أنهم رأوا الجبال حوله مثل التلال، وأنهم نظروا إلى البحر فحزروه نهراً صغيراً، وبين البحر والجبل زيادة على عشرين فرسخاً. ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، ص٢٧٩، ويؤكد بعض الدارسين أن هذه القمة البركانية كانت نشطة أيام مرور أبي دلف بها، ميكيل، **جغرافية دار الإسلام البشرية**، ج١، ق١، ص٢٤٠-٢٤١.

تمر في المجرى تحدث أصواتاً متضادة على إيقاعات متناسبة يخالها السامع أصوات أدمية أو حيوانية(١٨٠).

وتتبدى نزعة أبي دلف العلمية في جانبين الأول: استخدامه أسلوب التجريب العلمي، ففي سياق وصفه لبحيرة الشيز، التي – على حد قوله – لا يدرك لها قرار، تصدى بنفسه لقياس عمقها ومحيطها(١٨١). والثاني: اعتماده على المشاهدة والعيان(١٨٢). ويورد أبو دلف بعض الظواهر الطبيعية التي لا يجد تفسيراً منطقياً لها، مثل(١٨٣) ظاهرة الكبريت الأصفر المضيء في تستر، والذي يفقد وهجه في غيرها من البلدان(١٨٤)، وظاهرة النمل التي تدخّر الحبّ، والتي يعدّها الأهالي مؤشراً على سنوات الجدب، ويعقب عليها بقوله: "وقد امتحنت هذا من دعواهم دفعات فوجدتهم فيه صادقين"(١٨٥). ونجد لدى أبي دلف صدى لظاهرة الطلسمات(١٨٦) التي تنسب إلى بلنياس الحكيم(١٨٧)، وفي رسالته الثانية يذكر عدداً من الطلاسم من بينها طلسم هلال الفضة الموجود على رأس قبة بيت النار المجوسي في مدينة الشيز(١٨٨)، وطلسم الثور والسمكة المصنوعان من الحجر في نهاوند، الذي يحمي من بعض الآفات(١٨٩). ومما يلفت النظر أن أبا دلف لا يشير في رحلته الأولى إلى بلاد الترك والصين والهند لأي من الطلاسم، بينما يشير إلى القوة الكامنة في بعض الأنواع من الحجارة، مثل حجارة مغناطيس الماء لدى قبيلة الكيماك التركية، الذين يستمطرون به متى شاءوا(١٩٠)، وكأن ظاهرة الطلاسم ظاهرة يقتصر انتشارها بين الشعوب الفارسية، ولا نجد لها

١٨٠.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٦–٩٨، الحسين، **أدب الكدية في العصر العباسي**، ص٤٥.

١٨١.المصدر نفسه، ص٣١–٣٦.

١٨٢.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٩، ٦١.

١٨٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٢.

١٨٤.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٥.

١٨٥.المصدر نفسه، ص٨٢.

١٨٦.أصله يوناني، وهو علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة، والمنع مما يوافقها، المحبي، محمد الأمين بن فضل الله (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، **قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل**، تحقيق عثمان الصيني، ٢م، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، م٢، ص٢٦٤. وسيشار له فيما بعد، المحبي، قصد السبيل.

١٨٧.بلنياس الحكيم، هو حكيم يوناني يذكره ابن النديم بأنه (Apollonius Tyanaas) من أهل الطوانة (Tyana) التي تقع في سفوح جبال طوروس الشمالية في تركيا الحالية، ويذكره المسعودي باسم (بلينيوس)، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٨م، م٤، ص٩٤، وسيشار له فيما بعد، المسعودي، مروج الذهب. ويسميه ابن العبري، ابن العبري، غريغورس بن اهرون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، ص١١٨، وسيشار له فيما بعد، (أفوك نيوس الطلسي طيقي)، تاريخ مختصر الدول.

١٨٨.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٦.

١٨٩.المصدر نفسه، ص٧٣.

١٩٠.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٥.

صدى لدى الشعوب التركية، وشعوب الصين والهند. وأبو دلف متأثر بالبيئة الفارسية التي عاش فيها، ومتأثر بالدعاية الشعوبية، ويحمل المسؤولية للعرب بهدم جميع المباني الفارسية القديمة في مدينة الري، بحيث عفت (اندثرت) آثار الفرس فيها[١٩١].

المضامين السياسية والاقتصادية والاجتماعية لرسالتي أبي دلف:

أ- المضامين السياسية:

تمدنا رسالتا أبي دلف بمعطيات تاريخية مهمة، فإقليم سجستان كان يتبع للسامانيين عند زيارة أبي دلف له، ويدار من قبل أحد أحفاد الصفاريين، وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن الليث الصفاري[١٩٢]، وملك الصين الذي زار بلاطه هوفالين (قالين) بن الشخير. ومن الإشارات التي أوردها يتضح مدى عمق التأثير الصيني في الحضارة الهندية[١٩٣]، ومدينة الملتان في الهند تحكم من قبل يحيى بن محمد الأموي، وهو يقيم في مدينة المنصورة، ويبسط نفوذه على إقليم السند بأجمعه، ويتبع له حاكم من آل عمر بن علي بن أبي طالب[١٩٤].

ويمدنا أبو دلف بمعلومات تاريخية حول بيوت النار في مدينة الشيز التي كانت قائمة في عهده، وتوقد فيها نيران المجوس[١٩٥]. ويتوقع المحمرة المعروفون بالخُرمية[١٩٦]، ظهور المهدي في جبال البذين التي خرج منها بابك الخرمي[١٩٧].

ويذكر أهالي مدينة بير (الشيز) من مدن شهرزور بأنهم شيعة صالحية زيدية، أسلموا على يد زيد بن علي (زين العابدين) بن علي أبي طالب (ت١٢٢هـ/٧٤٠م)، والصراع المذهبي على أشده بينهم وبين أهالي نيم ازراي السنة، ويذكر أبو دلف أنهم أغاروا في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، على أهالي مدينة الشيز، وقتلوهم وسلبوهم، وأحرقوهم بالنار عصبية للدين[١٩٨].

ويمدنا أبو دلف بمعطيات عن طبيعة النظام السياسي عند القبائل التركية، وتنوع أنظمتها

١٩١.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٥-٧٧.

١٩٢.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٧٦-٧٧.

١٩٣.المصدر نفسه، ص٥٥، ٦٠، ٦٢، ٦٧.

١٩٤.المصدر نفسه ص٧٣.

١٩٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٣- ٨٤.

١٩٦.حركة دينية تنسب لبابك الخرمي من بلدة خرم الفارسية، أو نسبة إلى خرم زوجة مزدك، ويدعو أتباعها لإمامة أبي مسلم الخراساني (ت١٣٧هـ/٧٥٤م)، ويؤمن أتباعها بالتناسخ والحلول ويدعون إلى اشتراكية المال والنساء، وإرضاء الشهوات والتحلل من القيم التي يدعو إليها الإسلام. وهي امتداد للديانات الفارسية القديمة، وتهدف إلى تقويض السلطان العربي والدين الإسلامي، الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٦٠-١٦١، الدوري، **العصر العباسي الأول**، ص٦٧-٧٢، ٩١-٩٤، ١٧٩-١٨٦.

١٩٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٨. وهو كورة بين أذربيجان وأران، ياقوت، معجم البلدان، م١، ص٤٢٩- ٤٣٠.

١٩٨.المصدر نفسه، ص٥٩.

السياسية تبعاً لمستوى رقيها الحضاري، فعرفت قبائل الغز النظام الملكي، وملكهم عظيم السلطان ويؤدون له الخراج[١٩٩]، وينسحب هذا على قبائل الخرخيز فملكهم عالم مطاع فيهم، لا يجلس بين يديه أحد منهم، إلا إذا جاوز عمر الأربعين[٢٠٠]، وعرف الأتراك الخرلخية النظام الملكي أيضاً[٢٠١]، وأما أهل القليب فتتوارث أسرة بعينها الملك فيهم[٢٠٢]، والقبائل الأقل تحضراً مثل أتراك الكيماك فليس لهم ملك[٢٠٣]، في حين يتبع أتراك الختيان نظاماً سياسياً فريداً، فليس لهم ملك، وإنما يرجع كل عشرة منهم إلى شيخ ذي عقل ورأي، يحتكمون إليه، ويقبلون حكمه، وأحكامهم أحكام عقلية تقوم بها السياسة[٢٠٤]، ويتسم سلوك بعض القبائل التركية بالإغارة على من حولهم، ومن مر بهم، مثل قبائل الخرلخ[٢٠٥]، والخطلخ[٢٠٦]، في حين لا تؤذي قبائل الختيان من مر بهم[٢٠٧]، وتعد مدينة سندابل قصبة الصين، وبها دار المملكة، وتحكم علاقة الملك الصيني برعيته قوانين وأحكام سياسية، ويظهر أن لملوك الصين نفوذاً قوياً على بعض القبائل التركية المجاورة لهم، مثل قبائل الطخطاخ[٢٠٨]، وعلى ملوك الهند، مثل ملك كله[٢٠٩]، وكولم[٢١٠].

ولفت نظر أبي دلف عناية الهنود بالفلك والحساب والنجوم، فأشار إلى ثلاثة مراصد فلكية للكواكب في جاجلي[٢١١]، وبيت الذهب[٢١٢]، وقشمير (كشمير) ففيها مرصد كبير معمول من الحديد الصيني[٢١٣]، وتقتصر العناية بالطب على أهالي مدينة كولم الهندية.

وأشار أبو دلف في رسالته الثانية لعدد من الكيانات السياسية التي حكمت أجزاء من مشرق العالم الإسلامي في عصره، مثل السامانيين في خراسان[٢١٤]، والعلويين في طبرستان وبلاد الديلم[٢١٥]،

١٩٩.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٦.
٢٠٠.المصدر نفسه، ص٤٨.
٢٠١.المصدر نفسه، ص٤٨.
٢٠٢.المصدر نفسه ص٥٣.
٢٠٣.المصدر نفسه، ص٤٥.
٢٠٤.المصدر نفسه، ص٥١.
٢٠٥.المصدر نفسه، ص٤٨.
٢٠٦.المصدر نفسه، ص٥٠.
٢٠٧.المصدر نفسه، ص٥١.
٢٠٨.المصدر نفسه، ص٤٠، ٥٣.
٢٠٩.المصدر نفسه، ص٦٠.
٢١٠.المصدر نفسه، ص٦٧.
٢١١.المصدر نفسه ص٦٣.
٢١٢.المصدر نفسه، ص٧٤.
٢١٣.المصدر نفسه، ص٦٣.
٢١٤.المصدر نفسه، ص٣٩.
٢١٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٣-٨٤.

والبويهيين في العراق وبلاد فارس[٢١٦]، وأشار إلى قلعة سميران التي حكمها آل محمد بن مسافر مؤسس عائلة الديلم من بني مسافر خلال القرنين ٤-٥هـ/١٠-١١م[٢١٧]، والطاهريين، ومنشآتهم العمرانية في مدنية نيسابور[٢١٨]، وإمارة العجليين وآثارهم في مدينة كرج أبي دلف[٢١٩].

وهناك وجود لقبائل عربية نجحت في تأسيس كيانات سياسية صغيرة في المشرق، مثل فرع من قبيلة طيء بزعامة علي بن محمد الطائي الذي أسس مملكة صغيرة في نريز في أرمينية[٢٢٠]، وبنى سليم في باجنيس بأرمينية[٢٢١]. ويظهر أن الأكراد في عصر أبي دلف اتجهوا لتكوين كيانات سياسية لهم، فالأكراد الهدبانية الذين سيطروا على مدينة نريز جنوبي بحيرة أرمنية، "عطلوا رسمها، وأخربوا رساتيقها، وتمادت بهم الحال زماناً بسبب ضعف السلطان، وأمنوا طلب الولاة"[٢٢٢]، ويذكر أبو دلف تسللهم إلى المناطق المحيطة بشهرزور التي أصبحت مشتى لستين ألف بيت من قبائل الأكراد الجلالية، والباسيان، والحكمية، والسيولية[٢٢٣].

ب- المضامين الاجتماعية:

شكلت الديانات محوراً مهماً من محاور اهتمام أبي دلف في رسالته الأولى، فوصف لنا ديانات الأتراك والهنود والصينيين بعيداً عن التأثر بانتمائه الديني، وكان محايداً في إيراد المعلومات عن مذاهبهم، وبيوت عبادتهم، من بدده[٢٢٤]، وبيوت نار، وكنائس.

والسمة العامة لديانات الشعوب التركية عبادة مظاهر الطبيعة والحيوانات، وعبادة الأسلاف (الأجداد)، فقبائل البجا يعظمون الأبقار، ويتحاشون امتلاكها تعظيماً لها، ولهم أصنام من خشب

٢١٦.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٩.
٢١٧.المصدر نفسه، ص٤٣-٤٤.
٢١٨.المصدر نفسه، ص٩٠.
٢١٩.المصدر نفسه، ص٧٧. وهي مدينة بين همذان وأصبهان في منتصف الطريق وإلى همذان أقرب، وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، ياقوت، معجم البلدان، م٤، ص٥٠٦.
٢٢٠.المصدر نفسه ٤٨.
٢٢١.المصدر نفسه، ص٤٤.
٢٢٢.المصدر نفسه، ص٥٧.
٢٢٣.المصدر نفسه، ص٥٧-٥٨. ولمزيد من التفاصيل حول القبائل الكردية ومواطنها، انظر: البدليسي، شرف خان، **شرفنامه**، ترجمة محمد علي عوني، مراجعة يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص٨-٢٣.
٢٢٤.جمع بدّ وهو الصنم، وهو فارسي معرب، ومعناه بيت فيه أصنام وتصاوير، الجواليقي، **المعرب**، ص٢١٢، المحبي، **قصد السبيل**، م١، ص٢٥٩، ويعرفه الحميري: بأنه الكنائس بلغة الهند، وداخلها أصنام من كل جهة مصنوعة من حجارة ورخام وعلى رؤوسها التيجان المكللة بالذهب، **الروض المعطار**، ص١٥٥.

الزعرور الأسود الذي لا تأكله النار[٢٢٥]، وقبائل التغزغز لهم عيد عند ظهور قوس قزح، ويتجهون بصلاتهم نحو مغرب الشمس[٢٢٦]. ويعظم أتراك الجكل من الكواكب سهيل، وزحل، والجوزاء، وبنات نعش، والجدي ويسمون الشعرى اليمانية رب الأرباب[٢٢٧]، ويعظم الخرخيز زحل والزهرة، ويتطيرون من المريخ، ولهم بيت عبادة، وكلام موزون يتكلمون به في أوقات صلواتهم، ولهم ثلاثة أعياد في السنة، ويتجهون إلى جهة الجنوب في صلواتهم، ويسجدون للطفل إذا ولد، ويخدمون الحوامل حتى يلدن[٢٢٨]، ويعظم الأتراك الخرلخية حجراً عظيماً أخضر اللون، يحتكمون عنده، ويذبحون الذبائح، ولهم بيت عبادة، مزينة حيطانه بصور لمتقدمي ملوكهم، وبيت عبادتهم من خشب لا تأكله النيران[٢٢٩]، ويعبد أهالي مدينة القليب الأصنام[٢٣٠]، التي يصنعونها من عظام الختو (دابة تشبه الأبقار)، وقرون غزلان المسك[٢٣١]. ولا يوجد بيت عبادة لأتراك الكيماك، ويعبدون كبار السن ممن يتجاوز أعمارهم ثمانين سنة، "إلا أن تكون به عاهة أو عيب ظاهر"[٢٣٢].

ويظهر أن معتقدات الأمم المجاورة تسربت لمعتقدات الأتراك، فانتشرت الديانة النصرانية على نطاق محدود بين أتراك الجكل[٢٣٣]، كما تسربت الديانات المجوسية واليهودية والمسيحية والدين الإسلامي إلى بلاد التبت[٢٣٤]، ولاحظ أبو دلف أن في مدينة بهي قوماً مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً وعبدة أصنام[٢٣٥]. وتسرب الإسلام بصورة مشوشة إلى أتراك البغراخ، فهم يعبدون مصحفاً مذهباً على ظهره أبيات من الشعر رثي بها زيد بن علي، وزيد عندهم ملك العرب، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إله العرب[٢٣٦]. ولا يزودنا أبو دلف بتفاصيل عن ديانات الغزّ[٢٣٧]، والخطلخ[٢٣٨]، والختيان، سوى أنه يذكر عن الختيان بأن لهم بيت عبادة يعتكفون فيه[٢٣٩].

٢٢٥.أبودلف، **الرسالة الأولى**، ص٤١.
٢٢٦.المصدر نفسه، ص٤٦-٤٧.
٢٢٧.المصدر نفسه، ص٤٢.
٢٢٨.المصدر نفسه، ص٤٧.
٢٢٩.المصدر نفسه، ص٤٨.
٢٣٠.المصدر نفسه، ص٥٣.
٢٣١.المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.
٢٣٢.المصدر نفسه، ص٤٥.
٢٣٣.المصدر نفسه، ص٢٢.
٢٣٤.المصدر نفسه، ص٤٤-٤٥.
٢٣٥.المصدر نفسه، ص٥٢.
٢٣٦.أبودلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٣-٤٤.
٢٣٧.المصدر نفسه، ص٤٦.
٢٣٨.المصدر نفسه، ص٥٠.
٢٣٩.المصدر نفسه، ص٥١.

وتسود الديانة البوذية في الصين، ففي مدينة سندابل بيت عبادة عظيم، فيه تماثيل وصور وأصنام، وبدٌّ عظيم[٢٤٠]، وتسربت الديانة البوذية إلى مناطق الهند المجاورة للصين مثل كله[٢٤١]، والصيمور[٢٤٢]، ولهم بيت عبادة عليه سدنة، وفيه أصنام من الفيروزج[٢٤٣]، والبيجاذي[٢٤٤]، أما أهالي مدينة جاجلي فلهم بيت عبادة كبير يعظمون فيه من النجوم قلب الأسد[٢٤٥]، ويعظم أهل قشمير الثريا، ولهم أعياد في رؤوس الأهلة، وفي نزول النيّرين (الشمس والقمر) [٢٤٦]، وتعد مدينة الملتان مركزاً روحياً مهماً لدى الهنود والصينيين من معتنقي الديانة البوذية لأنها بيت حجهم، ودار عبادتهم، وبها القبة العظمى والصنم الأكبر، وتشمل على قبة كبيرة تحوي صنماً في جوفها طوله مائة ذراع، وبين رأسه ورأس القبة مائة ذراع، وبين رجليه وبين الأرض مائة ذراع، والصنم معلق في جوف القبة[٢٤٧].

وتسربت الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام إلى بعض نواحي الهند، فأشار أبو دلف لوجود مساجد وكنائس إلى جانب بيوت النار في مدينة الصيمور[٢٤٨]، كما انتشر الإسلام في بلاد الملتان، "والسيادة فيها للمسلمين، والإسلام فيها ظاهر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فيها شامل"[٢٤٩].

ومن مظاهر تقديس العديد من القبائل التركية والصينية والهندية تحاشي أكل اللحوم، مثل أهالي مدينة سندابل الذين لا يأكلون اللحم أصلاً، ومن قتل منهم شيئاً من الحيوان قتل[٢٥٠]، وتشكل الحبوب واللحوم مصدر الغذاء الرئيس للقبائل التركية، فيتناولون في طعامهم البر، والشعير، والجلبان[٢٥١]، والدخن، والعدس والحمص، وأصناف البقول الصحراوية، والباقلي، والعنب، والتين،

٢٤٠.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٥.
٢٤١.المصدر نفسه، ص٦٠.
٢٤٢.المصدر نفسه، ص٦٢.
٢٤٣.من الأحجار الكريمة، وأجوده الأزرق الصافي الذي يتغير بتغير لون السماء، يجلب من خراسان وبلاد فارس، حمله يقوي القلب ويمنع الخوف، البيروني، أبو الريحان (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، **الجماهر في معرفة الجواهر**، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص١٧٠، وسيشار له فيما بعد، البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر. المحبي، **قصد السبيل**، م٢، ص٣٧.
٢٤٤.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٢، وأصله بالفارسية بيجاذه وهو حجر الياقوت وهو عدة ألوان أجوده الأحمر الذي يسمى العقربي لأنه شبيه بلون العقرب، البيروني، **الجماهر في معرفة الجواهر**، ص٨٨، المحبي، **قصد السبيل**، ص٢٩٦-٢٩٧.
٢٤٥.أبودلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٣.
٢٤٦.المصدر نفسه، ص٦٤.
٢٤٧.المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.
٢٤٨.أبودلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٢.
٢٤٩.المصدر نفسه، ص٧٣.
٢٥٠.المصدر نفسه، ص٥٥.
٢٥١.وهو حب أغبر يطبخ، ابن منظور، **لسان العرب**، م، ص٢٧٤.

والزعرور الأسود[٢٥٢].

وتتجنب بعض القبائل التركية تناول لحوم الجمال مثل قبائل الجكل [٢٥٣]، والخرخيز[٢٥٤]، وربما يفسر ذلك بحاجتهم للجمل كحيوان للركوب والتنقل، وتتجنب قبائل أخرى تناول لحوم الأبقار، وتتحاشى تربيتها، مثل قبائل الجكل [٢٥٥]، والبغراخ[٢٥٦]، أما بقية القبائل التركية الأخرى فإنها تجيز تناول لحم الضأن والماعز، وبعضها تقتصر على لحوم الذكران فقط من الماعز والضأن، وتتحاشى ذبح الإناث مثل قبائل الكيماك[٢٥٧]، في حين تأكل قبائل الغز لحوم الضأن والماعز الذكران والإناث[٢٥٨]. وأما قبائل الخطلخ فتأكل اللحوم بمختلف أنواعها دون تمييز[٢٥٩]. وبعض القبائل التركية لا تأكل اللحم إلا مذكى (مذبوحاً) في حين تتناوله قبائل أخرى مذكى وغير مذكى مثل التغزغز[٢٦٠].

ولا يتميز أهالي التبت[٢٦١] والخرخيز[٢٦٢] بنوع خاص من اللباس، وأما الجكل فيلبسون الصوف والفراء[٢٦٣]، ويلبس البغراخ اللبود (الجلود) لا يلبسون غيرها[٢٦٤]. ويلبس الغز الكتان والفراء، ولا يلبسون الصوف[٢٦٥]، ويلبس التغزغز القطن واللبود[٢٦٦]، ويلبس الخرلخ الصوف، ولهم عيد يلبسون فيه الديباج (الحرير)، ويتحاشى الخطلخ لبس شيء مصبوغ[٢٦٧].

ولا يقدم أبو دلف تفاصيل وافية عن طبيعة المسكن لدى القبائل التركية جميعها، بل يشير لعدد محدود منها، مثل قبائل الغز الذي لهم مدينة مبنية من الحجارة والقصب والخشب[٢٦٨]، بينما يبني

٢٥٢.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٠-٥١.
٢٥٣.المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.
٢٥٤.المصدر نفسه، ص٤٧.
٢٥٥.المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.
٢٥٦.المصدر نفسه، ص٤٤.
٢٥٧.المصدر نفسه، ص٤٥.
٢٥٨.المصدر نفسه، ص٤٥.
٢٥٩.المصدر نفسه، ص٤٤-٤٦.
٢٦٠.المصدر نفسه، ص٤٦، ٥١.
٢٦١.المصدر نفسه، ص٤٤.
٢٦٢.المصدر نفسه، ص٤٧.
٢٦٣.المصدر نفسه، ص٤٢.
٢٦٤.المصدر نفسه، ص٤٤.
٢٦٥.المصدر نفسه، ص٤٦.
٢٦٦.المصدر نفسه، ص٤٦.
٢٦٧.المصدر نفسه، ص٥١.
٢٦٨.المصدر نفسه، ص٤٦.

الكيماك بيوتهم من الجلود[٢٦٩]، في حين فإن للتبت مدينة كبيرة من القصب، وفيها بيوت عبادة مصنوعة من جلود البقر المدهونة[٢٧٠].

وعادات الهنود في مأكلهم متفاوتة، فأهالي كله يشبهون أهل الصين في تجنب أكل اللحوم، ويأكلون البر والتمور، وأرغفة الخبز عندهم تباع عدداً، ولا توجد حمامات في منازلهم، وإنما يغتسلون في مياه النيابيع الحارة، ويلبسون كأهل الصين الإفرند الصيني المثمن[٢٧١]، ولباس أهل صيمور لباس أهل الصين، ولا يذبحون ولا يأكلون السمك ولا البيض، ومنهم من يأكل النطيحة والمتردية، ولا يأكلون ما مات حتف أنفه[٢٧٢].

والصورة التي يقدمها أبو دلف للمرأة في المشرق عموماً، وعند الأتراك خصوصاً صورة مزرية، وتعتمد مكانتها على مستوى التطور الحضاري لتلك القبائل، فالبجناك طوال اللحى همج يغير بعضهم على بعض، ويفترش الواحد منهم المرأة على ظهر الطريق[٢٧٣]، والبغي والجور ظاهر بين الأتراك الخرلخية، يغير بعضهم على بعض، والزنا بينهم ظاهر غير محظور، وهم أصحاب قمار، يقامر الواحد صاحبه في امراءته وابنته وأمه، والفساد ظاهر في نسائهم، وتمتعت النساء عندهم بحرية غير محدودة، وهم قليلوا الغيرة تجيء امرأة الرئيس ومن في طبقته، أو ابنته أو أخته إلى القوافل إذا وافت البلد، فتعترض الوجوه، فإن أعجبها إنسان أخذته إلى منزلها، وأنزلته عندها، وأحسنت إليه، وتصرف زوجها وولدها وأخاها في حوائجه، ولا يقربها زوجها ما دام من تريده نازلاً عندها، إلا لحاجة يقضيها ثم ينصرف، وهي ومن تختاره في أكل وشرب، وذلك بعين زوجها لا يغيره ولا ينكره[٢٧٤].

ويتزوج الختيان تزويجاً صحيحاً[٢٧٥]، ويحظر أهل القليب الزنا والفسق[٢٧٦]، ولا تتزوج المرأة عند قبائل الخطلخ إلا بزوج واحد، وإذا مات لا تتزوج بعده، ومن زنا في بلدهم أحرق هو والتي يزني بها، وليس لهم طلاق، والمهر جميع ما ملك الرجل، ويخدم الخاطب ولي أمر الزوجة لمدة سنة، والملك عندهم لا يتزوج، وإذا ما تزوج يقتل[٢٧٧]. وشاع بين بعض القبائل التركية الوثنية نكاح المحرمات،

٢٦٩.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٥.
٢٧٠.المصدر نفسه، ص٤٤.
٢٧١.المصدر نفسه، ص٦٠، وهو ثوب من الحرير، الجواليقي، **المعرب**، ص٤٧٤.
٢٧٢.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٢.
٢٧٣.المصدر نفسه، ص٤١.
٢٧٤.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٨-٤٩، القزويني، **آثار البلاد**، ص٥٨٤.
٢٧٥.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥١.
٢٧٦.المصدر نفسه، ص٥٣.
٢٧٧.المصدر نفسه، ص٥٠.

فالرجل عند قبائل الجكل يتزوج من ابنته وأخته، وسائر محارمه[٢٧٨]، ويعقب أبو دلف بالقول "بأنهم ليسوا مجوساً، إلا أن هذا مذهبهم في النكاح، وشاع زواج الأخوات بين قبائل الخطلخ كذلك"[٢٧٩].

والصينيون يعلون من قيمة المرأة ومكانتها، وإذا ما تزوج غريب بامرأة من أهل الصين، فإنه يمنع من اصطحاب الزوجة معه، في حين يسمح له بأخذ أولاده منها، ويقال له "دع الأرض، وخذ البذر"[٢٨٠]. ولا يزودنا أبو دلف بمعطيات عن مكانة المرأة عند الهنود، كما أن ما أورده من معلومات عن النساء في البلدان التي زارها في رحلته الثانية نادرة[٢٨١].

جـ- المضامين العمرانية:

يولي أبو دلف اهتماماً خاصاً بالمظاهر العمرانية في المدن والبلدان التي مرّ بها، من قصور وأوابد، ومعابد وبيوت نيران، ففي مدينة سندابل يصف بيت عبادتهم بقوله إنه بيت عبادة عظيم يقال إنه أكبر من مسجد بيت المقدس، وفيه تماثيل وصور وأصنام، وبدّ عظيم[٢٨٢]، ولأهالي مدينة جاجلي في الهند بيت عبادة كبير معظم، لم يمتنع على الإسكندر (المكدوني) في بلاد الهند غيره، ولهم بيت رصد وحساب محكم[٢٨٣]، ولأهالي قشمير بيت رصد كبير معمول من الحديد الصيني[٢٨٤]، وفي مدينة الملتان القبة العظمى والصنم الأكبر[٢٨٥]، وفي مدينة بغنانين في الهند، بيت الذهب في صحراء مساحتها أربعة فراسخ، لا يقع عليه الثلج، ويثلج ما حوله[٢٨٦]. وذكر أبو دلف بيتين للنار أحدهما في مدينة الشيز في هضبة بلاد فارس [٢٨٧]، والآخر في مينة ايذج، وهو بيت نار قديم كان يوقد حتى زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨١٩م) [٢٨٨].

ويعد الاهتمام بالشواهد العمرانية من أبرز اهتمامات أبي دلف في رسالته الثانية، ويهتم على نحو

٢٧٨.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٢.
٢٧٩.المصدر نفسه، ص٥٠.
٢٨٠.النديم نقلاً عن أبي دلف، **الفهرست**، ص٣٥١.
٢٨١.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٠، ٩٥.
٢٨٢.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٥.
٢٨٣.المصدر نفسه، ص٦٣.
٢٨٤.المصدر نفسه، ص٦٤.
٢٨٥.المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.
٢٨٦.المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.
٢٨٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٦-٣٧، وهو معبد زاردشتي مشهور (اذارجوشتاسب) يرتبط اسمه بمدينة الشيز ومدينة غنزاكه أو غزنة، وحدد مينورسكي وجوده في منطقة ليلان الحالية على بعد (١٤)كم إلى الجنوب الشرقي من أورمي، **الرسالة الثانية**، (المحقق)، ص٣٥-٣٦.
٢٨٨.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩١.

خاص بالآثار الكسروية القديمة، فمدينة شهرزور بناها دارا بن دارا. ويتوسع أبو دلف في وصف خرائب قصر شيرين وينسب بنائه إلى أبرويز[٢٨٩]، وفي مدينة الطرز إيوان بناه خسرو كرد بن شاهان[٢٩٠]. ووصف أبو دلف موقع شبديز الأثري على بعد فرسخين من مدينة قرمسين، وهو تمثال لرجل على فرس من حجر وعليه درع من الحديد، ولا يشك من نظر إليه أنه متحرك، وهي صورة أبرويز على فرسه شبديز، ولا توجد صورة في الأرض تشبهها، وفي الطاق صور (جبل بيستون) عدة لنساء ورجال، وبين يديه رجل في زي فاعل على رأسه قلنسوة، وفي جبل سيمره[٢٩١] صور بديعة، ونقوش حسنة يقال إن كسرى أبرويز كان عملها لفرهاد الحكيم[٢٩٢]، وفي قرية دستجرد كسرويه أبنية عجيبة من جواسق وأيوانات عملت كلها من الصخر[٢٩٣]، وأما قصر اللصوص (حصن كنكور) فهو قصر عجيب مبني على دكة من الصخر ارتفاعها عن وجه الأرض عشرين ذراعاً، وفيه إيوانات وجواسق وخزائن، وعلى قول أبي دلف كان هذا القصر معقل أبرويز ومتنزهه، لكثرة صيده، وعذوبة مائه، وحسن مروجه وصحاريه[٢٩٤]، وتتوسط مدينة همذان المدينة العتيقة التي بناها الملك الساساني دارا بن دارا وهي مدينة كبيرة مبنية على دكة يكون ارتفاعها ثلاثين ذراعاً، ولها أربعة أبواب عالية[٢٩٥]، وفي مدينة دورق آثار قديمة لقباذ بن دارا أحد أكاسرة الفرس (٤٨٨-٥٣١م) [٢٩٦]، وفي مدينة آسك آثار قديمة لقياذ بن دارا[٢٩٧]، وتحتوي مدينة تستر على آثار كسروية، وقناطر، وشاذروان[٢٩٨] على نهر كارون، الذي نسب بنائها إلى كسرى شابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) [٢٩٩].

ولا ينسب أبو دلف جميع المدن والأبنية الأثرية للأكاسرة الفرس، وإنما ينسب بعضاً منها للأنبياء والشخصيات الأسطورية جرياً على منهج الجغرافيين والرحالة العرب الآخرين المتأثرين بالإسرائيليات، وآثار القرى في صحراء البلاسجان في أرمينية، وعددها أكثر من خمسة آلاف قرية، وأكثرها خراب.

٢٨٩.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٠-٦١، وأبرويز صيغة عربية تطلق على كسرى خسرو الثاني بارويز (٥٩٠-٦٢٨م).

٢٩٠.المصدر نفسه، ص٦٣، ومعناها من عمل خسرو، و(المحقق) ص٦٣ (الحاشية).

٢٩١.تسمية عربية لأحد المرتفعات قرب بستون.

٢٩٢.وهو بطل إيراني شعبي على معرفة عظيمة بفن البناء، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٦.

٢٩٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٨، والجوسق معرب كوشك بالفارسية، ومعناه القصر، وقيل الحصن، المحبي، **قصد السبيل**، م١، ص٤٠٩.

٢٩٤.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٩.

٢٩٥.المصدر نفسه، ص٧٠-٧١.

٢٩٦.المصدر نفسه، ص٩٤.

٢٩٧.المصدر نفسه، ص٩٤.

٢٩٨.وهو أساس يوثق حول القناطر ونحوها، الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص٤٤.

٢٩٩.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٦-٩٧. ويعرف عند العرب باسم دجيل الأهواز لأنه يمر بمدينة الأهواز ويصب في شط العرب، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٦٧- ٢٦٨.

يقال إنها كانت لأصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى[٣٠٠]، وأما مدينة شهرزور فيقال إن داود وسليمان عليهما السلام دعوا لأهلها بالنصرة، والمتغلبون عليها من أهلها يقولون إنهم من ولد طالوت[٣٠١]، وينسب أبو دلف قرية أيوب إلى رجل من بني جرهم يكنى أبا أيوب[٣٠٢]، وينسب بناء مدينة أسداباذ إلى أسد بن ذي السرو الحميري[٣٠٣]، وينسب القصر بين مدينتي طوس ونيسابور إلى بعض التبابعة استناداً على معلومة رواها له أهالي طوس[٣٠٤].

ويزودنا أبو دلف بوصف تفصيلي لقنطرتين، الأولى: قنطرة النعمان التي ينسب بناؤها إلى النعمان بن المنذر، التي بناها بموافقة الملك الساساني بهرام جوبين[٣٠٥]، والثانية: هي قنطرة خرذاد بين مدينة ايذج والرباط التي عدها أبو دلف من عجائب الدنيا لأنها مبنية على واد فتحته على وجه الأرض أكثر من ألف ذراع، وعمقه مائة وخمسون ذراعاً، وفتحته أسفله في قراره نحو عشرة أذرع، وبنيت القنطرة من أسفلها حتى وجه الأرض بالرصاص والحديد [٣٠٦].

ويهتم أبو دلف بما طرأ على الأثر من خراب وعمارة، فيذكر أن قنطرة خرذاد بعد أن تهدمت أعاد بنائها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد المسمعي (القمي)، وزير ركن الروم الحسن بن بويه، الذي سخر لبنائها الفعلة من رساتيق ايذج وأصفهان، واستغرق بناؤها سنتين، وبلغت كلفة البناء حوالي (٣٥٠) ألف دينار[٣٠٧].

ويميز أبو دلف بين المدن التي بنيت في العهد الساساني، والمدن الإسلامية المستحدثة بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس، مثل مدينة الكرج التي نسب بنائها لأبي دلف العجلي[٣٠٨]، ومدينة قم التي بناها طليحة بن الأحوص الأشعري، وهي مبينة من الأجر[٣٠٩].

وتتضح من إشارات أبي دلف أن العرب الذين استقروا في هضبة بلاد فارس وبلاد خراسان قد استوطنوا المدن القائمة، وتتداخل في هذه المدن الأبنية الكسروية مع المنشآت الإسلامية مثل مدينة

٣٠٠.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٩-٥٠.
٣٠١.المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠.
٣٠٢.المصدر نفسه، ص٦٧.
٣٠٣.المصدر نفسه، ص٦٩-٧٠، وهو شخصية أسطورية لم أعثر على ترجمة له في المصادر الأولية.
٣٠٤.المصدر نفسه، ص٨٨-٨٩.
٣٠٥.وهو قائد عسكري فارسي قام بثورة سنة ٥٨٩م ضد ساسان هرمز الرابع (٥٧٩-٥٩٠م)، وهزمه خسرو بارويز وهرب إلى بلاد الترك، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٨ (الحاشية).
٣٠٦.وينسب بناء هذه القنطرة إلى خواذم اردشير شقيقة فردجشن بن شاه مرد أحد عظماء الفرس، ولتفاصيل أوفى حول القنطرة، انظر أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٦-٩٧ (حاشية المحقق)، وانظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م٤، ص٤٦٠.
٣٠٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٨-٩٩.
٣٠٨.المصدر نفسه، ص٧٤.
٣٠٩.المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.

ايذج[٣١٠]، ومدينة كنكور[٣١١]، والكرج[٣١٢]، ومدينة الري التي يقع المسجد الجامع في وسط المدينة[٣١٣]، ومدينة آسك الذي يوجد بإزاء ديوانها قبة مسجد ينيف سمكها على مائة ذراع، وفي خارج المدينة قبور لقوم استشهدوا أيام الفتوح[٣١٤].

ويلاحظ من إشارات أبي دلف أن مؤسسي الدول في المشرق من أصول فارسية حاولوا محاكاة الأكاسرة في تشييد قصورهم، وحصونهم على النموذج الكسروي، مثل القصور والمتنزهات في مدينة الري التي ينسب بناؤها إلى مؤسس الأسرة الزيارية مرداويج بن زيار، والتي لا يشك الناظر إليها على قول أبي دلف أنها من الأبنية الكسروية[٣١٥]، والأبنية التي ينسب بناؤها إلى الطاهريين في مدينة نيسابور التي تشبه الأبنية القديمة[٣١٦].

د- المضامين الاقتصادية:

والمعطيات في رسالتي أبو دلف حول ملكية الأرض والضرائب، وأساليب الجباية محدودة، وتقتصر إشارته فقط التي تلفت النظر حول وجود ملكيات كبيرة لبعض الأشخاص، مثل الجريش بن أحمد من أهالي مدينة الري الذي يملك ألف قرية ليس فيها جريب واحد[٣١٧]، غصب ولا إقطاع[٣١٨]، ولا ايغار[٣١٩]، ويلفت النظر ما ذكره أبو دلف عن بلدة ايذج في الأحواز بأن موسم جباية الخراج فيها يفتتح قبل موعد الجباية المتعارف عليه، وهو النوروز الفارسي بشهرٍ[٣٢٠]، ويعقب على ذلك بالقول: وهذا الرسم مخالف لرسوم الخراج في سائر الدنيا[٣٢١]، وربما يفسر ذلك طبيعة المنطقة الحارة بحيث يساعد ذلك على نضج المحاصيل مبكراً.

٣١٠.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٣.
٣١١.المصدر نفسه، ص٦٩.
٣١٢.المصدر نفسه، ص٧٤.
٣١٣.المصدر نفسه، ص٧٥-٧٧.
٣١٤.المصدر نفسه، ص٩٥.
٣١٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٥-٧٦.
٣١٦.المصدر نفسه، ص٨٩-٩٠.
٣١٧.ويساوي الجريب الكبير في بلاد فارس (٥٨٣٧.٥)م٢، هنتس، **المكاييل والموازيين الإسلامية**، ص٩٦.
٣١٨.أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها، وتسمى تلك الأرضون قطائع ووحدتها قطيعة، الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧)، **مفاتيح العلوم**، حققه فان فلوتن، بريل، ليدن، ط١، ١٨٩٥م، ص٣٩. وسيشار له فيما بعد، الخوارزمي، مفاتيح العلوم.
٣١٩.وهو الحماية، وذلك أن تحمى الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل خراج، ويوضع عليها شيء يؤدى في السنة لبيت المال في الحضرة (العاصمة) أو بعض النواحي، الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص٣٩.
٣٢٠.النوروز بالفارسية اليوم الجديد، وهو أول أيام السنة الفارسية ويتفق مع الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار)، وهو عيد الربيع عند الفرس وتستفتح فيه جباية الخراج، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٢ (حاشية المحقق).
٣٢١.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٩٢.

وأشار أبو دلف لمفهوم القبالة والضمان[٣٢٢]، بحيث كانت عين النفط في باكو من أعمال الشروان تبلغ قبالتها كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عين أخرى تضمن مثل ذلك[٣٢٣]، وهذا ينسحب على عين أخرى للنفط في خانقين، تدر دخلاً كثيراً من خلال الضمان[٣٢٤]، وأشار أبو دلف إلى السخرة والعمل الإجباري الذي يظهر أنه كان شائعاً في مشرق العالم الإسلامي[٣٢٥].

وأشار أبو دلف إلى شهرة أقاليم بلاد فارس بإنتاج المحاصيل الزراعية، فتشتهر بلدة اردبيل على نهر الرسّ بإنتاج الرمان الذي لم يرّ أبو دلف مثله في سائر البلدان، وبها تين عجيب، وزبيبها يجفف في التنانير[٣٢٦]، لأن لا شمس عندهم لكثرة الضباب[٣٢٧]، وتشتهر بلدة كرخ جدان في إقليم شهرزور بإنتاج العنب السونايا[٣٢٨]، وأما رمان بلدة حلوان، فلم يرّ أبو دلف رماناً في البلاد مثله، وبها تين عجيب يقال له الشاهنجير ومعناه ملك التين[٣٢٩]، والدامغان مدينة حسنة كثيرة الفواكه، وفيها تفاح يقال له القومسي جيد أحمر الصبغ (اللون) مشرق الحمرة، يُحمل إلى العراق العربي[٣٣٠]، وأما تفاح أصبهان فيبقى غضاً سنين سبع[٣٣١]، وتشتهر قطران في مدينة الري بورودها التي تستمر لأربعة أشهر، ويكثر فيها إنتاج المشمش والآجاص[٣٣٢]. وتشتهر طبرستان بإنتاج قصب السكر، ويعمل بها ماء الزعفران الذي لا يعمل في غيرها، وتشتهر بأترجها[٣٣٣] الذي ليس في سائر البلدان مثله حسناً وحجماً[٣٣٤]. وتشتهر خراسان بإنتاج الزبيب الخراساني الجيد، والقشمش (الزبيب)، وأما ايذج فتشتهر

٣٢٢.وهو أسلوب من أساليب جباية الضرائب الذي شاع في الدولة الإسلامية منذ العصر العباسي، بحيث يتعهد المتقبل أو الضامن بدفع مبلغ مالي للخزينة مقدماً، مقابل السماح له بتحصيل الضرائب، وعادة ما يكون المبلغ المدفوع أقل من الذي يحصله الضامن، ويحصل الزيادة لحسابه الشخصي. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٤م، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٢-١٩٣٨م، ج٣، ص٤٦٦. الدوري، عبد العزيز، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٥م، ص٧.

٣٢٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٥-٤٦.

٣٢٤.المصدر نفسه، ص٦٠.

٣٢٥.المصدر نفسه، ص٩٩، والفاعل هو الأجير، والفعلة قوم يعملون عمل الطين والحفر وما شابه ذلك، المحبي، **قصد السبيل**، م٢، ص٣٢٤.

٣٢٦.جمع تنور، وهو الفرن الذي يخبز فيه، المحبي، **قصد السبيل**، م١ن ص٣٤٨.

٣٢٧.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٩.

٣٢٨.وهو نوع من العنب الأسود، يتقدم ويبكر عن سائر العنب، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٠، (حاشية المحقق).

٣٢٩.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٦٢.

٣٣٠.المصدر نفسه، ص٨٦.

٣٣١.المصدر نفسه، ص٩٠.

٣٣٢.المصدر نفسه، ص٧٩.

٣٣٣.الأترج، شجر مرتفع معمر، ثمره كالليمون الكبار حامض الماء، دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة العراقية، ط١، بغداد، ١٩٧٨م، ج١، ص٨٠، وسيشار له فيما بعد دوزي، تكملة المعاجم العربية.

٣٣٤.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٤.

بقصب السكر الذي يتميز عن غيره في سائر الأهواز بغزارة إنتاجه[٣٣٥]، وأما بلدة تستر فيعدُ سكرها أجود السكر الذي تنتجه سائر الأهواز[٣٣٦].

ووصف لنا أبو دلف أنظمة الري في البلدان التي زارها، فمدينة سندابل، في الصين على رأس سورها نهر عظيم، يتفرع على ستين جزءاً، كل جزء منها ينزل على باب من الأبواب تتلقاه رحى فتصبه إلى ما دونها، ثم إلى غيرها، ثم يصير إلى الأرض، ثم يخرج نصفه تحت السور فيسقي البساتين، ويرجع نصفه إلى المدينة، فيسقي أهل ذلك الشارع إلى دار الملك، ثم يخرج إلى الشارع الأخر، ثم إلى خارج البلد، فكل شارع فيه نهران، وكل خلاء فيها مجريان كلٌ يخالف صاحبه، فالداخل يسقيهم، والخارج يخرج فضولاتهم[٣٣٧]. وفي مدينة سمنان القريبة من الدامغان وصف لمقسم للماء كسروي، يخرج ماؤه من مغارة في الجبل، ثم ينقسم الماء إذا انحدر عنه، على مائة وعشرين قسماً يسقي مائة وعشرين رستاقاً، لا يزيد قسم على صاحبه، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة[٣٣٨].

وتمدنا رحلة أبي دلف بمعطيات قيمة حول الحرف والصناعات الحرفية، فمدينة كله في الهند تتميز بصناعة السيوف المعروفة بالقلعية، وهي السيوف الهندية العتيقة[٣٣٩]، كما تشتهر مدينة كولم بعمل الغضائر[٣٤٠]، التي تباع في أنحاء المشرق الإسلامي على أنها الغضائر الصينية، ويعقد أبو دلف مقارنة بين نوعين من الغضائر الهندية والصينية، والغضائر التي تصنع في بلاد فارس، ويعتبر الغضائر الصينية أجودها، بسبب صلابة الطين الصيني الذي تصنع منه، وقدرته على تحمل النار، وصفاء ونقاوة هذا النوع وشفافيته[٣٤١].

وأشار إلى صناعة عصى الصولجة[٣٤٢]، التي تصنع من خشب شجر الخلاف في مدينة نهاوند الذي ليس في أشجار البلاد مثله صلابة وجودة[٣٤٣]، وتشتهر مدينة الري في صناعة الثياب الرازية التي تنفرد الري في إنتاجها دون سائر البلدان، ويقول أبو دلف بأنه رأى ثوباً تكسيره نحو مائتي شبر

٣٣٥.المصدر نفسه، ص٩٢.

٣٣٦.المصدر نفسه، ص٩٣.

٣٣٧.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٤-٥٥.

٣٣٨.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٦.

٣٣٩.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥٩، والسيوف القلعية نسبة إلى القلعة وهي بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين، المحبي، **قصد السبيل**، م٢، ص٣٥٩.

٣٤٠.وهي الأواني المصنوعة من الخزف، المحبي، **قصد السبيل**، م٢، ص٣١٧.

٣٤١.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٧-٦٨.

٣٤٢.الصولجة مفردها صولج، وهو نوع من العصى مثنية من أخرها، تستخدم في لعبة يضرب فيها اللاعب الكرة بالصولج، وهو راكب على الحصان، وهي مشابهة للعبة البولو، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٣ (الحاشية).

٣٤٣.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٣.

بيع بعشرة آلاف درهم[٣٤٤]، كما اشتهر أهل الري في مهارتهم بالتنقيب عن المعادن، حتى إنهم ينقبون تحت الأنهار الكبيرة، بحيث يضرب بالنقب الرازي المثل[٣٤٥]. وتشتهر مدينة طبرستان بصناعة الأكسية والمناديل الموصوفة في سائر البلدان، ويبلغ ثمن الكساء الواحد منها جملة دنانير[٣٤٦].

وأما مدينة سمنان فتشتهر بإنتاج المناديل المنقوشة المثمنة، ويبلغ ثمن المنديل الواحد، خمسين ديناراً، إلى جانب شهرتها بصناعة السبنيات[٣٤٧]، التي تباع السبنية الواحدة بمائتي دينار، ويظهر أن هذا النوع من المنسوجات على درجة عالية من دقة الصنعة، بحيث يؤدي بالمرأة التي تحترف صنعته إلى العمى من دقة الصنعة وكثرة العمل[٣٤٨]. وتشتهر مدينة جرجان بإنتاج الأبرسيم (الحرير) الذي يتميز بجودة صنعته[٣٤٩].

ويمدنا أبو دلف بمعلومات قيمة حول النشاط التجاري في البلدان التي زارها، فأشار إلى التبادل التجاري بين قبائل الغزّ الأتراك مع الهند والصين[٣٥٠]، كما أشار إلى بلدة صيمور ونشاطها التجاري مع بلاد الترك[٣٥١]، وازدهار تجارة الفلفل في بلد الفلفل، وعليه ضريبة للملك "وهو شجر لا مالك له، وحمله عبارة عن عناقيد، فإذا ارتفعت حرارة الشمس، انطبقت الأوراق على العناقيد، لئلا يحترق بالشمس، فإذا زالت الشمس، زالت تلك الأوراق عند العنقود"[٣٥٢]. ويزودنا أبو دلف بمعلومات مقتضبة عن نشاط الموانئ في جنوب شرق آسيا، وذكر أن ملوك تلك المرافيء يأخذون العشر كضريبة على السلع التجارية[٣٥٣]. وتشتهر مدينة أردبيل بتصدير معدن الشب الذي يستخدم في صبغ الأصواف، ومعدنها هذا هو الذي يعرف باليماني، ومنها يصدر إلى اليمن وإلى مدينة واسط في العراق[٣٥٤]. كما أشار إلى الأسواق السنوية التي تقام في المدن الأرمينية، والتي تباع فيها سلع كثيرة، من الحيوانات الحية، والفرش، والديباج، والبزيون[٣٥٥]، وغير ذلك.

٣٤٤.المصدر نفسه، ص٧٨.

٣٤٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٧٨-٧٩.

٣٤٦.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٤.

٣٤٧.وهو نوع من القماش يصنع من القطن أو الصوف، وتصنع منه أيضاً أنواع من المناديل والفوط، أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٥ (حاشية المحقق).

٣٤٨.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٨٥.

٣٤٩.المصدر نفسه، ص٨٧.

٣٥٠.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٦.

٣٥١.المصدر نفسه، ص٦٢.

٣٥٢.المصدر نفسه، ص٦٢.

٣٥٣.المصدر نفسه، ص٧٠.

٣٥٤.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٤٧-٤٨.

٣٥٥.المصدر نفسه، ص٥٦، وهو قماش من الصوف بتصاوير، وهو رقيق الديباج، وهي فارسية مركبة من بزّ ويون أي يشبه

والجانب الذي يعطي رسالتي أبي دلف قيمتهما وخصوصيتها، هو الاهتمام الذي يبديه بحصر الثروات المعدنية، وخبرته الثرة في المعادن والأعشاب وخواصها العلاجية، ففي بلاد البجا ضرب من الخشب لا تأكله النار يصنعون فيه أصنامهم[٣٥٦]، وفيها معدن الباذزهر[٣٥٧] (البازهر) وجباه الختو[٣٥٨] (جباه الحبق)، والدم والذاذي البري الذي يصنعون منه نبيذاً يسكر سكراً شديداً[٣٥٩]، وتشتهر بلاد الكيماك بحجارة مغناطيس الماء، ومعادن الذهب والماس[٣٦٠]، وفي بلاد الخرخيز حجارة تسرج بالليل، يستغنون بها عن المصابيح، لا تعمل إلا عندهم[٣٦١]، وتوجد معادن الفضة التي تستخرج بالزئبق في بلاد الخرلخ[٣٦٢]، وتنتج بلاد الختيان المسك الجيد، ولهم حجارة تسكن الحمى، ولا تعمل في بلد غيرهم[٣٦٣]، وتشتهر بلدة بهي بإنتاج النيل الجيد القاني (الطافي المرتفع)، الذي إذا طرح في الماء لا يرسب[٣٦٤]، وتشتهر بلدة كله في الهند بإنتاج الرصاص القلعي الذي لا يكون إلا في قلعتها في سائر بلاد الدنيا[٣٦٥]، وتنتج بلدة صيمور في الهند المسك الصيموري، والدار صيني، ويستدرك أبو دلف بأنها لا تختص بإنتاج ذلك بل يُحمل إليها، ومنها يجهز إلى سائر البلدان[٣٦٦]، وتختص بلدة مندورقين في الهند بإنتاج الطباشير، ويفصل أبو دلف في الكيفية التي ينتج فيها هذا النوع، وهو ينتج عند جفاف أشجار القنا، ويتكون من احتكاك سيقان الأشجار الجافة مع الحرارة المتكونة من الاحتكاك مما يتسبب في اشتعال النيران في السيقان الجافة الذي ينتج عنه هذا النوع من الطباشير، والنوع الجيد منه يباع بأثمان مرتفعة لندرته، لأنه ينتج من داخل تجويف ساق نبات القنا[٣٦٧]، والنوع الشائع منه يباع في سائر البلدان على أنه معدن التوتيا الهندي، وهو نوع من التدليس، لأن التوتيا الهندي دهان الرصاص القلعي، ومقدار ما ينتج منه سنوياً لا يتعدى ثلاثة إلى خمسة أمنان، ولندرته فإن ثمنه مرتفع بحيث يباع المن الواحد منه

البز، أدي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص٢٢. وسيشار له فيما بعد، أدي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**.

٣٥٦.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤١.

٣٥٧.وهو فارسي معرب باكزهر أو بادزهر ومعناه ذو الخاصية الترياقية، وهو طل (صمغ) يقع على بعض الأشجار، ويرشح في ظلها، المحبي، **قصد السبيل**، م١، ص٢٤٤.

٣٥٨.وهي جبهة دابة تصطاد في بلاد الأتراك تشبه البقر، أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٤.

٣٥٩.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤٢.

٣٦٠.المصدر نفسه، ص٤٥.

٣٦١.المصدر نفسه، ص٤٧-٤٨.

٣٦٢.المصدر نفسه، ، ص٤٩-٥٠

٣٦٣.المصدر نفسه، ص٥١.

٣٦٤.المصدر نفسه، ص٥٢.

٣٦٥.المصدر نفسه، ص٥٩.

٣٦٦.المصدر نفسه، ص٦٣.

٣٦٧.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٦٥.

بخمسة آلاف درهم إلى الألف درهم[٣٦٨].

وتشتهر الهند بإنتاج الكافور، ويحدد أبو دلف مكان إنتاجه بلحف جبل بين مدينة كولم ومندورقين مطل على البحر، والكافور بالأصل هو لب شجر يشق، فيوجد الكافور كامناً فيه، وربما وجد بحالة مائعة، أو حالة الجمود باعتباره صمغاً يوجد في لب هذه الشجرة[٣٦٩]. وتنتج مدينة قندابيل الهندية الكبريت الأصفر، ومعدن النحاس والتوتيا[٣٧٠]، والقنبيل الذي يجمع من أحشاء البقر، والذي يعدُ الصنف المصري أجودها[٣٧١]، ويؤكد أبو دلف أن جميع أصناف التوتيا المعروفة تنتج من بخار النحاس، إلا النوع الهندي، فإنه يستخرج من دخان الرصاص[٣٧٢].

وتنتج مدينة همدان الذهب، غير أن قيمته الاقتصادية ضعيفة بسبب ندرة الفحم اللازم لاستخراجه[٣٧٣]، وأما مدينة الري فيوجد فيها الذهب والفضة، غير أن مردودهما لا يغطي تكاليف استخراجهما[٣٧٤]، ويكثر معدن الكحل، والمرتك، والأسرب، والزاج بالقرب من جبل دنباوند[٣٧٥]، وتشتهر مدينة طبرستان بإنتاج عدة معادن أشهرها الذهب، وأجود أنواع الذهب الأصفر وأكثره نقاء تلك التي تنتجها مدينة خشم في الجهة الجنوبية الغربية من طبرستان[٣٧٦]، وتنتج طبرستان أيضاً معدن الشب الأبيض الذي يستخدم في تبييض الفضة مما يلحق بها من شوائب[٣٧٧]، ويفوق معدن النحاس الذي تنتجه مدينة نيسابور سائر معادن الأرض جودة[٣٧٨]، وتنتج مدينة رامهرمز الملح المحكم الصنعة[٣٧٩]، وبها عيون للكبريت الأصفر البحري، الذي يسرج في الليل، ولا يوجد هذا النوع من الكبريت إلا في هذه المدينة، وإذا حمل إلى سواها –على حد قول أبي دلف– لم يسرج[٣٨٠].

ويتمتع أبو دلف بخبرة عميقة في التمييز بين المعادن، والنباتات، ومستوى جودتها، وخواصها الكيميائية، بحيث يمكن اعتباره من بين الرواد المشتغلين بالكيمياء والعقاقير الطبية، فنراه يميز بين

٣٦٨.المصدر نفسه، ص٦٦.
٣٦٩.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٧٠.
٣٧٠.وهو أكسيد الزنك.
٣٧١.المصدر نفسه، ص٧١، ٧٣–٧٤.
٣٧٢.المصدر نفسه، ص٧١.
٣٧٣.المصدر نفسه، ص٧١.
٣٧٤.المصدر نفسه، ص٧٢.
٣٧٥.المصدر نفسه، ص٨٢.
٣٧٦.المصدر نفسه، ص٨٣.
٣٧٧.المصدر نفسه، ص٨٤.
٣٧٨.المصدر نفسه، ص٩٠.
٣٧٩.المصدر نفسه، ص٩٤.
٣٨٠.المصدر نفسه، ص٩٥.

أنواع الراوند الهندي، والقامروني، والصنفي، والقماري تمييز خبير[٣٨١]، وعند حديثه عن الإهليلج[٣٨٢]، الذي تنتجه مندروقين في الهند، يؤكد أن الإهليلج الكابلي الذي تنتجه بلاد كابل، أجود الأنواع لأنه بعيد عن البحر، وجميع أصناف الإهليلج واحدة، وما نثرته الرياح يعتبر فجاً وغير نافع، فهو الإهليلج الأصفر، وهو يتصف بالحموضية، وأما الذي يكتمل نضجه فيتميز بطعمه الحلو والحار، وما يتبقى منه على شجره حتى موسم الشتاء ينقلب إلى اللون الأسود، ويتصف بطعمه المزّ والحار[٣٨٣].

وتتضح مهارة أبو دلف وخبرته العميقة في خواص المعادن في تمييزه الدقيق بين أنواع الذهب الموجود في بلدة الشيز بقوله: "وأما ذهبها فهو ثلاثة أنواع، نوع يعرف بالقومسي، وهو تراب يصب عليه الماء، فيغسل ويبقى تبراً كالذر يجمع بالزئبق، وهو أحمر خلوفي (الأحمر الفاتح)، ويتميز بنقاوته، والنوع الثاني هو المعروف بالشهراني (الهرقي)، ويتواجد على شكل قطع متناثرة من حبة إلى عشرة مثاقيل[٣٨٤]، وهو صلب يبس يمتاز ببيبوسته، والنوع الثالث: النوع الذي يقال له السنجابذي، ويمتاز بلونه الأبيض والذي يتحول إلى اللون الأحمر إذا ما حك، ويمتاز بطراوته[٣٨٥].

ويولي أبو دلف اهتماماً زائداً بخواص المعادن العلاجية، بما يعطي مؤشراً على خبرته في هذا المجال، ففي بلاد الأتراك الغز حجارة بيضاء تنفع في علاج القولنج[٣٨٦]، وتشتهر بلاد الأتراك التغزغز بنوع من الحجارة يقطع الدم، إذا علقت على صاحب الرعاف والنزف[٣٨٧]، وفي بلاد الختيان حجارة تسكن الحمى[٣٨٨]، وتشتهر بلاد الران بإنتاج اليبروج[٣٨٩]، الذي يستخدم كمخدر[٣٩٠]، وتنتج جبال الزلم حب الزلم الذي يصلح لأدوية الجماع[٣٩١].

ويبدي أبو دلف اهتماماً خاصاً بذكر الحمات (جمع حمّة)، والخواص العلاجية للأملاح التي تحويها المياه المعدنية لهذه الحمّات[٣٩٢]، وأورد معلومات حول الخواص العلاجية لحمة زراوند في

٣٨١.المصدر نفسه، ص٦٩-٧٠.

٣٨٢.وهو شجر معروف منه أصفر ومنه أسود، ينفع في علاج الخوانيق، ويحفظ العقل، ويزيل الصداع، وأصله هندي، المحبي، **قصد السبيل**، م١، ص٢٢٦.

٣٨٣.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٧١.

٣٨٤.وحدة وزن = ١ درهم أو ١ دينار، هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ص٢٩.٦ ٦

٣٨٥.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٣٢-٣٣.

٣٨٦.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٤١.

٣٨٧.المصدر نفسه، ص٤١.

٣٨٨.أبو دلف، **الرسالة الأولى**، ص٥١.

٣٨٩.مخدر نباتي، **الرسالة الثانية** (المحقق)، ص٤٣.

٣٩٠.المصدر نفسه، ص٤٢-٤٣.

٣٩١.المصدر نفسه، ص٥١.

٣٩٢.المصدر نفسه، ص٣٠.

أرمينية في الاستشفاء من الجروح والقروح التي تصيب الإنسان والحيوان، وقد حمل إليها أبو دلف بنفسه عدداً من المرضى ممن يعانون من الأمراض الجلدية من جرب، وسلع، وبرص[٣٩٣]، والخزاز[٣٩٤]، وضربان الساقين[٣٩٥]، واسترخاء الأعصاب، وأمراض القولنج، ومن بين المرضى الذين حملهم للاستشفاء فيها مريض اخترق نصل سهم بدنه، ويذكر لنا كيف أقام فيها ثلاثة أيام، بعدها خرج السهم من خاصرته لأنها أرق موضع وجد فيه منفذاً [٣٩٦]. ومن خواص هذه الحمة أنه إذا شرب شخص من مائها أمن من الخوانيق، ووسع عروق الطحال الرقاق، وأسهل السوداء من غير مشقة، وإذا اكتحل صاحب العشا (ضعف البصر) من مائها أبصر، ومن اشتم من طينها لم تقمر عينيه من الثلج، والبهيمة التي تدخل مائها لا تجرب، ولا يجرب لها ولداً أبداً[٣٩٧].

وفي الران نهرٌ من شرب منه أمن الحصاة[٣٩٨]، وفي اسفندويه حمّات كثيرة بورقية، تنفع من الرياح والعصب فقط[٣٩٩]، وتصلح حمّات أردبيل لعلاج مرض الجرب[٤٠٠]، وفي بلدة بسطام ماء ينفع إذا شرب على الريق من البخر (رائحة الفم)، وإذا احتقن به أبرأ البواسير الباطنية[٤٠١].

الخاتمــة

عاش أبو دلف في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقضى جلّ حياته في مشرق العالم الإسلامي، وكان يتردد على بلاد الأمراء السامانيين، والصفاريين، والأمراء البويهيين، وربطته علاقة وثيقة بالوزير أبي عبد الله الجيهاني وزير الأمير الساماني نصر بن أحمد، والصاحب بن عباد وزير الأمير فخر الدولة البويهي في الري، والوزير الفضل ابن العميد وزير الأمير عضد الدولة البويهي في شيراز، وترك لنا أبو دلف تراثاً محدوداً هو عبارة عن مقتطفات شعرية متناثرة في بطون المصادر الأولية، أشهرها قصيدته الساسانية في وصف الكدية والمكدين، كما ترك لنا رسالتين تضمنت الأولى منهما توثيقاً لمشاهداته في بلاد الأتراك الشرقيين والغربيين، وبلاد الصين، وبلاد الهند، في حين تضمنت رسالته الثانية توثيقاً لرحلته في بلاد أرمينية وأذربيجان، وبلاد فارس.

ولاحظ الباحث بأنه لا توجد إشارة في المصادر الأولية لأبي دلف كرحالة، ولرسالتيه حتى القرن

٣٩٣.مرض جلدي.

٣٩٤.مرض جلدي ينتج عن فطريات جلدية.

٣٩٥.مرض آلام الساقين والمفاصل.

٣٩٦.أبو دلف، **الرسالة الثانية**، ص٥١-٥٢.

٣٩٧.المصدر نفسه، ص٥٢، والجرب مرض جلدي يصيب الإنسان والحيوان.

٣٩٨.المصدر نفسه، ص٤١.

٣٩٩.المصدر نفسه، ص٤٢.

٤٠٠.المصدر نفسه، ص٤٨.

٤٠١. المصدر نفسه، ص٨٧.

السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، باستثناء الإشارة المقتضبة لدى النديم الذي ذكر بأنه التقاه ووصفه بالجوالة، بينما يعدُ ياقوت الحموي هو الأول بين الجغرافيين الذي ذكر أبا دلف واستوعب في معجمه نص الرسالتين: الأولى والثانية لأبي دلف، ثم تبعه في ذلك محمد بن زكريا القزويني الذي أفاد من الرسالتين استناداً إلى نقولات ياقوت الحموي، ويعود ذلك إلى عدم اعتراف الجغرافيين والرحالة المسلمين بأبي دلف كرحالة، حتى إن ياقوت والقزويني من بعده وصفاه بالشاعر والجوالة.

وأبديت شكوك من جانب الدارسين حول الرسالتين، ومدى صحة وصول أبي دلف إلى بعض المناطق التي ذكرها في رسالتيه، إلا أن الرأي الأكثر قبولاً أن الرسالتين تعكسان رحلتين حقيقيتين قام بهما أبو دلف، والقاسم المشترك بين الرسالتين هو اهتمام أبي دلف بالمعادن الثمينة، والعقاقير وخواصهما العلاجية، واستخداماتها الطبية والمياه المعدنية (الحمات)، إلا إنه في رسالته الأولى انفرد بإيراد معلومات انثربولوجية مهمة عن المعتقدات الدينية، والعادات الاجتماعية، ومكانة المرأة لدى الأتراك والهنود والصينيين، في حين نرى اهتمامه في رسالته الثانية يتركز على وصف المباني الأثرية والعمرانية من بلاد فارس، خصوصاً بيوت النار والقصور والقناطر التي تنسب للملوك الساسانيين. كما تضمنت رسالتيه معلومات قيمة من النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، تثرى معرفتنا عن أوضاع المناطق التي زارها في رحلتيه، وتنفرد بإيراد مادة ثرة، تفيد الباحثين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والانثربولوجيا الاجتماعية، وتاريخ الأديان، والتاريخ العمراني، والثروات المعدنية والخواص العلاجية للمعادن والنباتات.

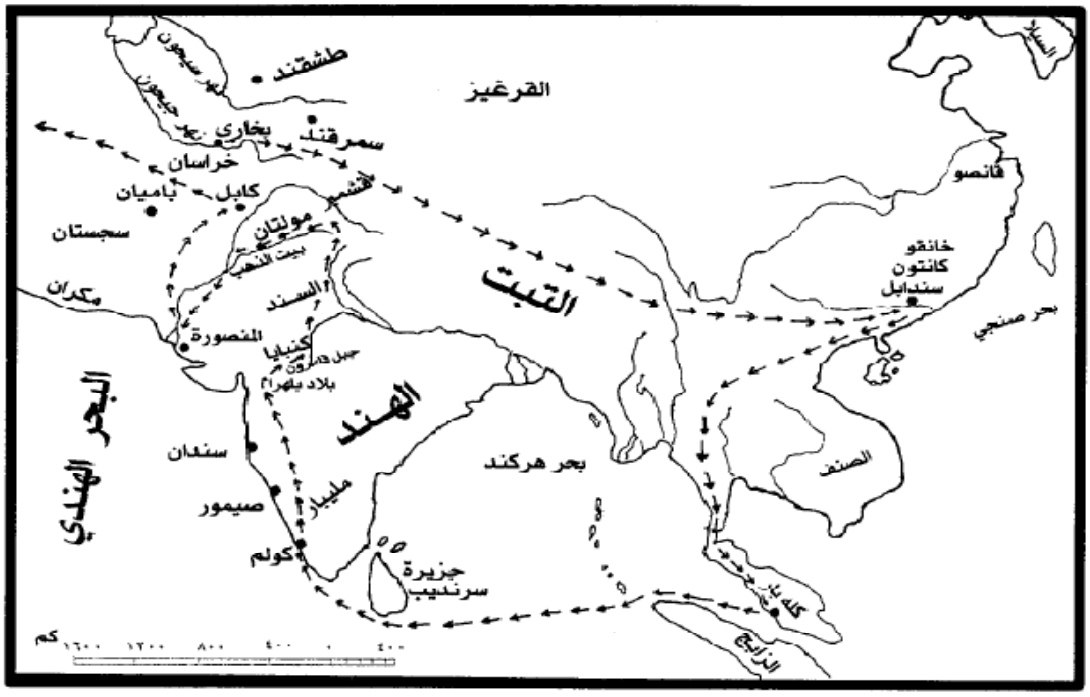

خط سير رحلة ابو دلف الأولى الى الصين والهند نقلاً عن: الرسالة الاولى لأبي دلف الخزرجي، صفحة ٣٤.

The Two Risalas of the Voyager Abu Dulaf Al-Khazraji: Study and Analysis

Elian Abdulfattah Al-Jaloudi **

ABSTRACT

This study aims at introducing the character of the Muslim voyager Abu Dulaf Mis'ar Bin Muhalhal Al-Khazraji in the 10 the (4th H) century. In addition to analyzing the two Risalas (epistles) in which Abu Dulaf docoumented his travelling in the lands of Turks, China, India, Armenia, Azerbaijan and Persia. The study also included an analysis to his methodology, and revealing the valuable information which the two Risalas included in terms of political, economic, and social aspects. Unlike other Muslim voyagers and geographers, Abu Dulaf showed greater concerns about the traditions and religious beliefs of the indigenous inhabitants whom he met in his travels. He also showed interest in their unique archeological features, especially these which belonged to the Sasanie era. Additionally he showed apparent interest in metals, herbs, material medica, and medicinal springs.

KEYWORDS: Abu Dulaf Al-Khazraji, the first Risala, the second Risala, Turks, China, India, Persia.

* Faculty Of Art And Humanities /Department Of History/ Al Al-Bayt University
Received on 19/5/2015 and accepted for publication on 8/10/2015.